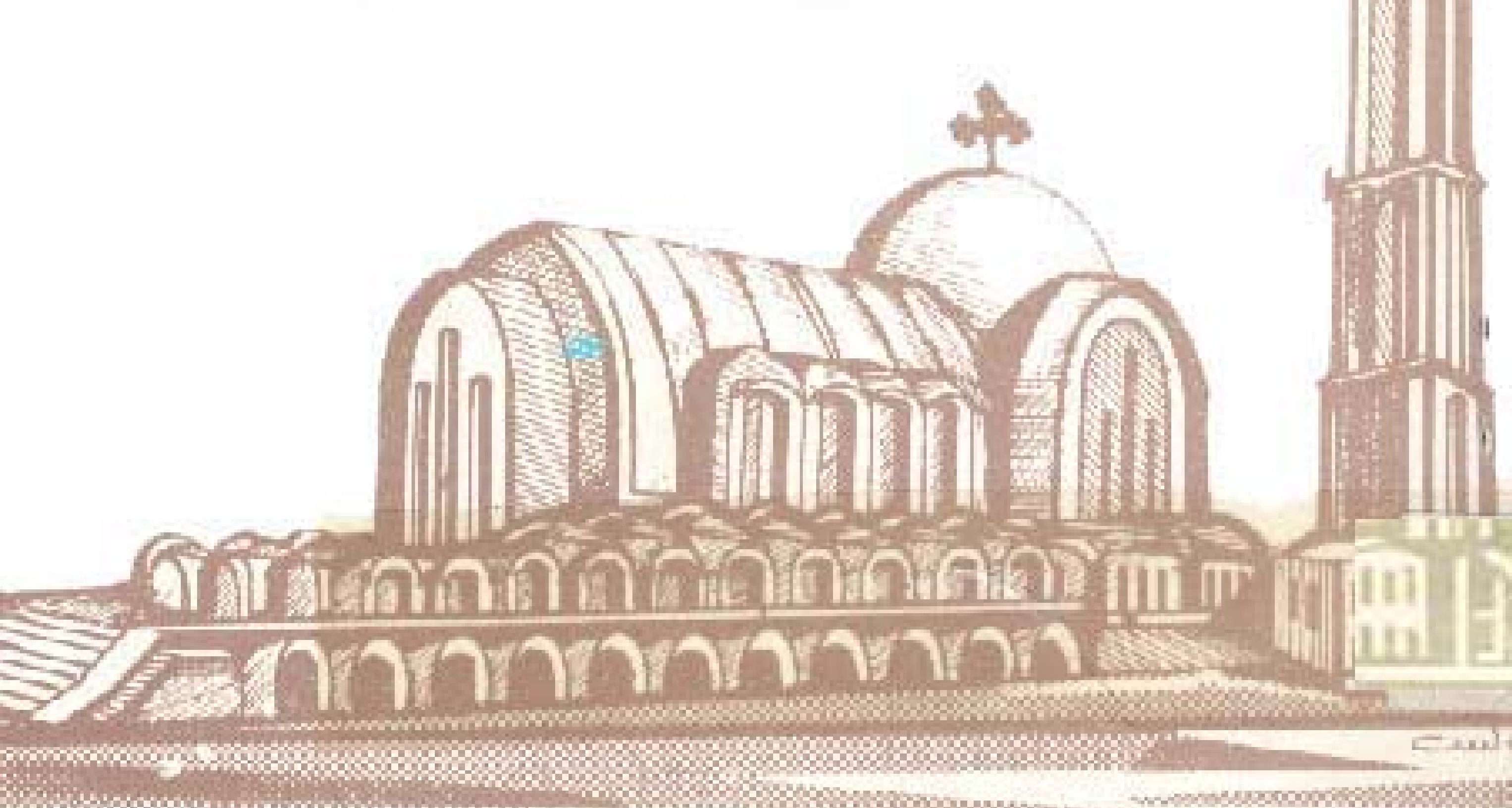
htm



البابا شنوده الثالث

الرجوع إلى الله



سلسلة
حياة التوبة والنقاوة
Repentance series

(٢)



الباباشنوده الثالث

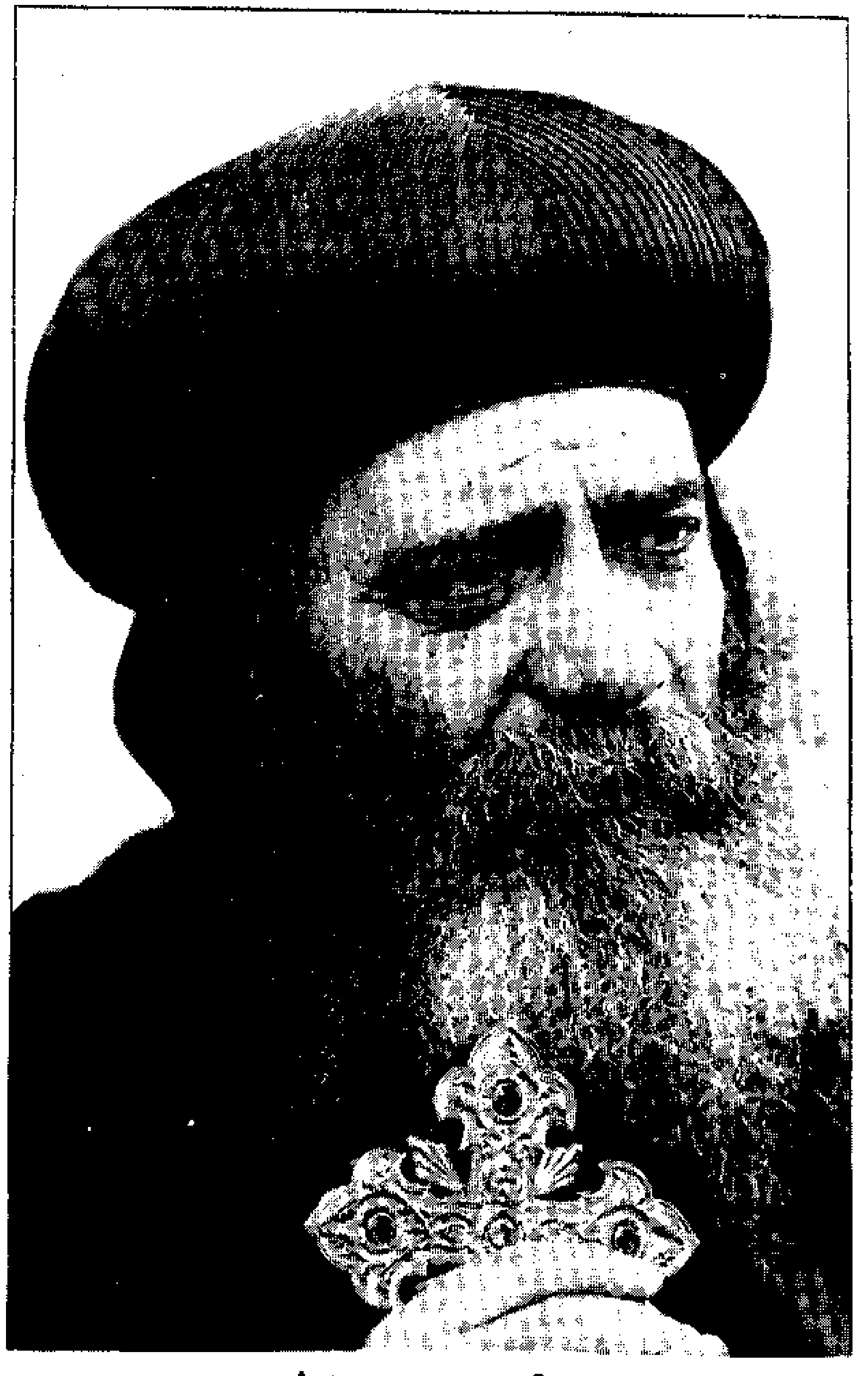
RETURN TO GOD

by H.H. Pope Shenouda III

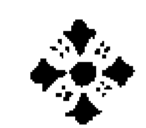
1 st Print
Oct. 1982
Cairo

الطبعة الأولى
أكتوبر ١٩٨٢
القاهرة





البابا شنودة الثالث



بسم الآب والابن والروح القدس
الإله الواحد آمين

+ مادامت الخطية إنفصالاً عن الله
تكون التوبة إذن هى الرجوع إلى الله

+ ومادامت الخطية خصومة مع الله .. أو خيانة لله
تكون التوبة إذن هى المصالحة مع الله

وعن هذين الموضوعين يتحدث
هذا الكتاب

مقـــدمة

الجزء الأول من هذا الكتاب يشمل موضوعين :

أ ـ الخطية هى إنفصال عن الله ...

وقد ألقينا فى هذا الموضوع محاضرتين فى الكاتدرائية الكبرى يومى الجمعة ١٥ / ١٠ / ٧٦ ، ٢٧ / ٧ / ١٩٧٩ .

ب ـ الرجوع إلى الله ...

وقد ألقينا فى هذا الموضوع ثلاث محاضرات فى الكاتدرائية الكبرى أيام الجمع :

يوم ١٩ / ٨ / ١٩٧٧ بعنوان « إرجعوا إلىّ أرجع إليكم » ،
يوم ٦ / ٦ / ١٩٨٠ بعنوان « الرجوع إلى الله » ،
يوم ١٧ / ٧ / ١٩٨١ بعنوان « العودة إلى الله » .

أما الجزء الثانى وهو (الصلح مع الله) .

فقد ألقينا فيه محاضرتين فى الكاتدرائية الكبرى فى يومى الجمعة ٢١ / ٣ / ٧٥ ، ١٢ / ١١ / ١٩٧٦ مع محاضرتين عن (كيف أصطلح مع الله) بتاريخ ٢٧ / ١١ / ٧٠ ، ٤ / ١٢ / ١٩٧٠ .

أضيفت إليها محاضرة أخرى عنوانها **(الخطية خيانة)** ألقيت فى الكاتدرائية يوم ١٣ / ٤ / ٧٣ خلال أسبوع الآلام .

ومن ثمرة هذه العشر محاضرات ، أصدرنا هذا الكتاب ...

شنوده الثالث

الخطية

إنفصال عن الله

❀ الخطية إنفصال عن الله وقريسيه :

ما هى الحياة الروحية ؟ أليست هى الإلتصاق بالله ، كما يقول المرتل فى المزمور :

« أما أنا فخير لى الإلتصاق بالرب » (مز٧٣: ٢٨) .

بل هى أكثر من هذا الإلتصاق أيضاً . إنها الثبات فى الرب ، حسبما قال لنا « إثبتوا فىّ وأنا فيكم » (يو١٥ : ٤) .

إنها حياة إنسان ثابت فى الرب ، يتمتع بعشرته ، و يتمتع بمحبته . يحتفظ بالله فى قلبه ، و يعيش هو فى قلب الله .

فهل الخاطىء إنسان ثابت فى الله ، وثابت فى محبته ؟

كلا ، فالخاطىء له طريق آخر ، غير طريق الله .

إنه قد إنفصل عن الله فى التصرف ، وفى الأسلوب ، وفى المشيئة . فأصبحت له مشيئة غير مشيئة الله . وصار يريد ما لا يريده الله . إنه إنسان يتحدى الله بلا خوف ، و يكسر وصاياه . وفى كسره لوصايا الله ، يكون قد إنفصل عن محبته أيضاً . لأن الرب يقول : « إن كنتم تحبوننى ، فاحفظوا وصاياى » (يو١٥ : ١٥) « الذى عنده وصاياى

ويحفظها ، فهو الذى يحبنى » (يو١٥ : ٢١) .

الخطية إذن هى إنفصال عن محبة الله ، وعن وصاياه .

هى حياة إنسان قد أعلن إستقلاله عن الله وعن ملكوته ، وصار يسلك حسب هواه ، دون أن يضع الله أمامه .

إنه إنسان قد إنفصل عن الله ، وتمسك بأن تكون له شخصية قائمة بذاتها ، بعيدة عن توجيه الله وقيادته ، تفعل ما يحلو لها ... كما حدث حينما طلب بنوإسرائيل لهم ملكاً يحكمهم بدلاً من حكم الله لهم ، فقال الله لصموئيل النبى :

« **هم لم يرفضوك أنت ، إنما إياى قد رفضوا** » (١صم ٨ : ٧) . « رفضوا أن أملك عليهم » ... رفضوا حياة التسليم التى يحياها أولاد الله ، فى طاعة وخضوع لمشيئته ... والملك الذى صار لهم ، شاول ، سلك هو أيضاً حسب هواه ، مستقلاً عن الله ، لا يريد أن الله يدبر له أموره ، أو يدير له أموره ، بل كان يدير كل شىء بفكره الخاص ، دون أن يسأل عن مشيئة الله أين هى !

فالخطاة ينفصلون عن إرادة الله ، وينفصلون أيضاً عن إدارة الله ... وقد عبر الله عن هذا الإنفصال بقوله : « رفضونى » و« تركونى » .

فقال « تركونى أنا ينبوع الحياة الحية ، وحفروا لأنفسهم آباراً ، آباراً مشققة لا تضبط ماء » (أر٢ : ١٣) . وقال أيضاً « رفضونى أنا الحبيب مثل الميت المرذول » (مز٣٧ : ٢١) .

نعم ، إن الخطية هى إنفصال عن الله ، ترك له ، ورفض له . الخاطىء لا يشعر بحب نحو الله ، ولا بدالة معه .

إنه إنفصل عن الله ، ليس فقط فى سلوكه وفى تصرفه ، وإنما أيضاً فى قلبه وفى حبه ومشاعره .

أصبح القلب يحب أشياء أخرى ، قد حلّت محل الله فيه . ولم يعد الله فى إهتمامه ، بل صار يهتم بأمور أخرى غير الله ، هى التى تشغل الآن فكره ، وتشغل وقته ، وتشغل قلبه ... !

فى حالة الخطية ، ينفصل القلب عن الله ، على قدر ما يحب العالم الحاضر . فإن صارت محبته للعالم كاملة ، يكون إنفصاله عن الله كاملاً ، لأن « محبة العالم عداوة لله » (يع ٤ : ٤) ، « إن أحب أحد العالم ، فليست فيه محبة الآب » (يو٢ : ١٥) .

لا يمكن إطلاقاً أن يجمع أحد بين ضدين : محبة الله ، ومحبة الخطية . وعليه أن يختار : إما هذه ، وإما تلك ...

إن عشت مع الله ، لابد أن تنفصل عن الخطية ،

وإن عشت فى الخطية ، تكون بالضرورة منفصلاً عن الله .

تنفصل عنه ، وعن ملكوته ، وعن مشيئته ، وعن وصاياه ، وعن محبته ، وعن عمله ، وعن الشركة معه ... وكما قال الرسول : « الله نور ، ليست فيه ظلمة البتة . إن قلنا إن لنا شركة معه ، وسلكنا فى الظلمة ، نكذب ولسنا نعمل الحق » (١يو ١ : ٥، ٦) .

الله نور ، والخطية ظلمة . وقد قال الكتاب :

« أية شركة للنور مع الظلمة ؟! » (٢كو ٦ : ١٤) .

الذى يعيش فى الظلمة ، يكون بلا شك قد إنفصل عن النور ، أى عن الله . والناس الذين إنفصلوا عن السيد المسيح ورفضوه ، قيل عنهم إنهم « أحبوا الظلمة أكثر من النور ، لأن أعمالهم كانت شريرة » (يو ٣ : ١٩) .

إذن فأنت بالخطية ترفض الشركة مع الله . وأية شركة ؟

الحياة الروحية هى شركة مع الروح القدس ، كما نسمع فى البركة فى آخر كل إجتماع (٢كو ١٣ : ١٤) . وبهذه الشركة نصير « شركاء الطبيعة الإلهية » (٢بط ١ : ٤) ، لا نصير شركاء فى الجوهر أو فى اللاهوت ، حاشا ... إنما نصير شركاء فى العمل . روح الله يشترك معنا فى العمل ، يعمل فينا ، و يعمل معنا ، و يعمل بنا ... فهل

أثناء الخطية ، يكون روح الله مشتركاً معك ؟!

أم أنت تكون قد فضضت هذه الشركة ، وإنفصلت عن عمل الروح ، وقلت للرب : لك طريقك ، ولى طريق ... ؟!

وأصبحت بهذا الإنفصال عن روح الله ، تخالف التحذير الذى قال فيه الرسول « لا تطفئوا الروح » (١تس ٥ : ١٩) « لا تحزنوا روح الله القدوس الذى به خُتمتم » (أف ٤ : ٣٠) .

إن الخاطىء لا ينفصل عن شركة الروح فقط ، بل أنه بالأكثر يقاوم الروح ، كما فى التوبيخ الصادر من القديس إسطفانوس (أع ٧ : ٥١) .

الخطية هى إنفصال عن الروح القدس ، وعن الإبن أيضاً ...

الإبن الذى هو « حكمة الله » (١ كو ١ : ٢٣) ، لابد أن تكون منفصلة عنه النفوس التى لقبت بالجاهلات ، كما فى مثل العذارى الجاهلات (مت ٢٥ : ٢) . فالتصرفات التى تصدر عن الخطاة ، هى تصرفات جاهلة ، منفصلة عن الحكمة الإلهية ، نقول عنها للرب فى القداس « جهالات شعبك » . وهكذا قيل فى سفر الجامعة إن « الجاهل يسلك فى الظلام » (جا ٢ : ١٤) .

الخطية هى إنفصال عن المسيح إذن ، أقنوم الحكمة .

المسيح الذي قال لنا « أنتم فيّ ، وأنا فيكم » (يو١٤ : ٢٠) ... كيف يمكن أن يكون فينا أثناء إرتكابنا للخطية ؟! كيف يمكن أن نكون فيه ، ونحن فى الخطية فى نفس الوقت . واضح أنه إن كانت الخطية فينا ، نكون وقتذاك فى حالة إنفصال عن المسيح .

وكيف نكون أثناء الخطية هيكلاً للروح القدس ؟!

كيف يكون روح الله القدوس ساكناً فينا (١كو٣ : ١٦) ونحن نرتكب الخطية ، بينما هيكل الله مقدس هو (١كو٣ : ١٧) .

لا شك أن الخطية إنفصال عن الله وعن شركته .

إنها إنفصال عن القداسة التى بدونها لا يعاين أحد الرب ...

لأنه لا يعاين الله إلاّ أنقياء القلب (مت٥ : ٨) . فالذى يفقد نقاوته بالخطية ، لا يمكن أن ترى عينه الله . بل يكون قد إنفصل عنه .

هكذا وقفت الخطية طوال تاريخها كحاجز بين الله والإنسان ...

وصار يمثل ذلك الحاجز المتوسط فى خيمة الإجتماع .

هذا الحاجز - أو الحجاب - الذى كان يفصل الشعب عن قدس الأقداس ، فلا يستطيعون الدخول إليه (خر٢٦ : ٣٣) ، رمزاً إلى إنفصالهم عن الله بالخطية ... هذا الحاجز الذى هدمه المسيح بصليبه ، ونحن فى كل يوم - بخطايانا - نحاول أن نبنيه مرة أخرى !!

الكتاب يقول عن العذارى الجاهلات إنه قد « أغلق الباب » ، ووقفت هؤلاء الجاهلات خارجاً (مت ٢٥ : ١١) ، بينهن و بين الرب هذا الفاصل ، هذا الباب المغلق . يتضرعن قائلات : « يا ربنا يا ربنا ، أفتح لنا » ، فلا يفتح لهن . بل يقول لهن : « إنى لا أعرفكن » ...

لقد إنفصلن عنه تماماً ، وعن ملكوته وعن عرسه ، وإنفصلن أيضاً عن العذارى الأخريات الحكيمات ...

وفى قصة الغنى ولعازر ، نقرأ عن نفس الإنفصال .

لعازر فى حضن أبينا إبراهيم ، والغنى ينظر « من بعيد » . وقد قال له أبونا إبراهيم « بيننا و بينكم هوة عظيمة قد أثبتت ... » (لو ١٦ : ٢٦) .

الأبرار فى الآخرة ، يكونون فى أورشليم السمائية ، مسكن الله مع الناس ... وهذه لا يدخلها شيء دنس ، ولا ما يصنع رجساً ... إلاَّ المكتوبين فى سفر الحياة (رؤ ٢١ : ٢٧) . ينفصل الأبرار عن الخطاة إلى الأبد .

يفصل الله الأبرار عن الخطاة ، والقمح عن الزوان ، والخراف عن الجداء ... ويُطرح الأشرار فى الظلمة الخارجية ...

الظلمة تعنى إنفصالهم عن النور ، أى عن الله . وتعنى إنفصالهم عن المدينة المنيرة ، أورشليم السمائية . وعبارة الخارجية تعنى أنهم خارج جماعة المفديين الغالبين الأبرار ، بعيداً عن القديسين ، الذين كانت حياتهم بعيدة عن حياتهم ومنفصلة عنها .

إذن الخاطىء سينفصل فى السماء عن جميع أحبائه على الأرض .

هنا على الأرض الكل معاً : القديس مع الخاطىء . ولكنهم فى السماء سينفصلون . فإن كان أحد على الأرض يحب إنساناً باراً ، فإنه لن يراه فى السماء ، إلاّ إذا تاب ههنا ، وصار باراً مثله ، وإستحق بهذا أن يوجد فى الموضع الذى سيوجد فيه ذلك البار .

أما إن ظل خاطئاً ، فقد إنقطعت صلته بذلك الحبيب إلى الأبد ، مهما كان إبناً ، أو أخاً ، أو أباً ، أو صديقاً ...

لابد أن يكون مثله ، ليتمتع بعشرته فى الأبدية ...

فإن كان الإثنان اللذان يحبان بعضهما البعض خاطئين معاً ، فماذا يحدث ؟ أقول إن العذاب الذى يلاقيه كل منهما فى الأبدية ، لا يعطيه فرصة أن يفكر فى غيره ، بل عذاب غيره يكون عذاباً آخر مضافاً إليه ، وليس متعة لعشرته .

الحل الوحيد إذن ، الذى يجمع المحبين ، ليتمتعوا بالعشرة معاً ، هى أن يحيوا ههنا فى برّ ، ويجتمعوا معاً فى السماء .

الخطية إذن تفصل الإنسان عن الله وعن القديسين وعن أحبائه وتفصله عن الملائكة أيضاً ...

فالكتاب يقول إن ملائكة الله « حالة حول خائفيه وتنجيهم » (مز٣٤ : ٧) . فإن كنت من خائفى الرب تتمتع بعشرة الملائكة هنا وفى السماء أيضاً ... أما الخطاة فإنهم يفصلون أنفسهم عن طغمة الملائكة ، التى لا تحتمل أن ترى أعمالهم الردية ... بينما فى وقت خطيتهم يحيط بهم الشياطين ، يشجعونهم على ما هم فيه !

فالخطية إذن ، ليست هى إنفصالاً عن الله وحده ، بل أيضاً عن ملائكته وقديسيه وسمائه وملكوته ، فى الأرض وفى السماء ...

واضح فى قصة الإبن الضال أنه إنفصل عن أبيه .

إنفصل عن الآب . طلب ذلك ونفذه فعلاً ، وذهب إلى كورة بعيدة (لو١٥ : ١٣) . وفى نفس الوقت الذى إنفصل فيه عن الآب ، إنفصل عن بيته الذى يرمز إلى الكنيسة بيت الله ، وإنفصل عن أعضاء أسرته الذين يرمزون إلى جماعة المؤمنين .

وهكذا حدث للخروف الضال : إنفصل عن الراعى ، وعن

الخطيرة ، وعن باقى الخراف ... فى نفس الوضع حدث للدرهم المفقود (لو١٥) .

الخطية إنفصال عن الله ، وإنفصال عن البر والخير، بطبيعتها ...

إنها إنفصال عن الخطة الإلهية التى رسمها الله لخلاصك ، وإنفصال عن الخط الإلهى الذى يريدك الله أن تسير فيه . هى إنفصال عن الحق ، وسير فى الباطل ، والحق هو الله (يو١٤ : ٦) ...

بدأ الإنفصال عن الله من أول خطية آدم ...

إنفصل آدم عن المحبة والدالة والعشرة التى كانت بينه و بين الله ، فأصبح يخاف منه ، ويختبىء من وجهه ، وإن سمع صوته يهرب من لقائه ، لا يستطيع أن يراه ! أو بأى وجه يراه ؟!

هذا من ناحية . ومن ناحية أخرى ، إنفصل آدم عن شجرة الحياة ، وعن الجنة ، مكان لقائه مع الله (تك٣ : ٢٢ ، ٢٣) .

وماذا أيضاً ؟ ... إنفصل كذلك عن الصورة الإلهية التى كانت له . فلم يعد بعد الخطية على شبه الله ومثاله .

كانت نتيجة خطيته هى الإنفصال عن الله ، ونفس الخطية ذاتها كانت إنفصالاً عن الله . فكيف ذلك ؟

كان الله يدبر أمور آدم فى الجنة ، و يرسم له الخط الذى يسير فيه . ولكن آدم فى خطيئته بدأ يستقل عن الله ، و يرى ما هو الصالح لنفسه ، وما هو المستقبل الذى يشتهيه حين يصير هو وحواء « مثل الله ، عارفين الخير والشر » (تك٣: ٥) . و بدأ الإنسان الأول يختار له أصدقاءه ومشيريه الذين يسمع لهم أكثر من الله . و يتصرف كشخصية مستقلة قائمة بذاتها ... وهكذا إنفصل عن الله فى ذات الخطية وخالف الله .

وقايين لما أخطأ ، إنفصل أيضاً عن الله ...

وصار تائهاً وهارباً فى الأرض ، خائفاً ومرتعباً . لأنه فى إنفصاله عن الله ، إنفصل عن المعونة والسلام ، وليس عن البر فقط . وهكذا قال للرب عبارته المملوءة مرارة وحسرة « إنك قد طردتنى اليوم ... ومن وجهك أختفى » (تك ٤ : ١٤) .

لعله نفس الخوف الذى خافه داود النبي حينما قال « لا تطرحنى من قدام وجهك ، وروحك القدوس لا تنزعه منى » (مز٥٠)

إن عبارة « حتى متى تحجب وجهك عنى » (مز١٢) أخف بكثير من طرد الإنسان من أمام وجه الله ، كما حدث لقايين .

وعقوبة شاول كانت أصعب ، إذ « فارق روح الرب

شاول » (١صم ١٦ : ١٤) . ولذلك قيل بعدها مباشرة « و بغته روح ردىء من قبل الرب » . لقد إنفصل عن الله ، فأصبح للشياطين سلطان عليه ...

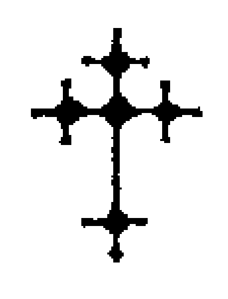
صار كمدينة غير محصنة ، وكبيت بلا حماية ، تعبث به الشياطين .

ما أصعب التدرج فى الإنفصال عن الله ...

عصيان لله ، خصومة مع الله ، إنفصال عن الله ، حجب وجه الله عن الإنسان ، مفارقة روح الرب للإنسان ، طرحه من قدام وجه الله ، لتبغته الأرواح الرديئة ...

بل هناك وضع أصعب فى الإنفصال ، وهو ما قيل عن الغصن الذى لا يصنع ثمراً ، إنه « يقطع و يلق فى النار» (يو١٥ : ٦) (مت٣ : ١١) ... نهاية مؤلمة حقاً ، لغصن كان فى يوم من الأيام ، من أغصان الكرمة . ولكنه الآن إنفصل عنها وعن باقى الأغصان .

إذن فالخطية كذلك هى إنفصال عن الكنيسة ...



● الخطية إنفصال عن جماعة القديسين :

الكنيسة هى جماعة من القديسين يعيشون فى طاعة الله . وفى قانون الإيمان نقول « نؤمن بكنيسة واحدة مقدسة » .

وحتى الكنيسة - كمكان - هى موضع مقدس للرب ، نقول عنه فى المزمور « ببيتك تليق القداسة يارب » (مز٩٦) . و يقول الله لشعبه « لتكن محلتك مقدسة » (تث ٢٣ : ١٤) .

لذلك فإن الخاطىء - بخطاياه أو بهرطقته - يفصل نفسه - سلوكياً أو فكرياً - عن جماعة المؤمنين المقدسة . أو تفصله هى ...

إن مجرد أعمال الخاطىء تفرزه عن جماعة المؤمنين : حياته غير حياتهم ، ومبادؤه غير مبادئهم ، وسلوكه ، وشكله ، طرقه وأساليبه ... كل ذلك يجعله منفصلاً عنهم ، روحاً وفكراً ومنهجاً ... بل حتى لغته وألفاظه تختلف عن لغة القديسين وألفاظهم . وكما قيل « لغتك تظهرك » (مت ٢٦ : ٧٣) .

لذلك فإن هذا الإنفصال واضح . يقول فيه يوحنا الرسول :

« بهذا أولاد الله ظاهرون ، وأولاد إبليس (ظاهرون) » (١يو٣ : ١٠) .

إنه إنفصال فى النوعية ، فى السلوك ، فى محبة الله ... تمايز واضح بين صفات الخراف وصفات الجداء .

من المفروض أن تكون الكنيسة واحدة فى الفكر والإيمان والروح . ومن يشذ عن هذا الوضع ، إنما يعبر عن إنفصاله الشخصى عن هذه الروح الواحدة . فإن صار بهذا خطراً على الجماعة المقدسة ، فإنها تفصله من عضويتها ، بعد أن فصل نفسه عملياً . وفى هذا يقول الكتاب :

« إعزلوا الخبيث من بينكم » (١ كو٢ : ٧-١١) .

إنها عملية فصل تقوم بها الكنيسة ، لتبق عضويتها مقدسة .

ومن جهة المنحرفين فى الإيمان ، نرى القديس يوحنا الرسول ، الذى تكلم عن المحبة أكثر من جميع الرسل ، يقول من جهة هؤلاء المنحرفين : « إن كان أحد يأتيكم ، ولا يجيء بهذا التعليم ، فلا تقبلوه فى البيت ، ولا تقولوا له سلام . لأن من يسلم عليه ، يشترك فى أعماله الشريرة » (٢يو ١٠ ، ١١) .

ومن هنا ، كانت المجامع المقدسة تفصل الخارجين عن الإيمان . وينطبق هنا مبدأ « خارج المحلة » المعروف فى العهد القديم .

تحدث عملية فصل . وما يختص بالخطية و بكل ما هو دنس ، يكون خارج المحلة . مثلما حدث مع مريم أخت موسى وهرون ، لما تقولت على موسى نبى الله ، وضربها الله بالبرص عقاباً لها « حجزت مريم خارج المحلة سبعة أيام » (عدد ١٢ : ١٥) . و بسبب هذا أيضاً كانت الذبائح التى عن خطايا الشعب ، والتى يدخل بدمها إلى الأقداس « تحرق أجسامها خارج المحلة » (عب ١٣ : ١١) ... وتبقى المحلة مقدسة ...

شعوب الأرض فى العهد القديم ، كانت تفصلهم خطاياهم عن الشعب المقدس . وكان الفلك أيضاً مثالاً لهذا الفصل ...

نوح وأولاده ونساؤهم ، كانوا فى الفلك و يمثلون الذين نالوا الخلاص ، وصاروا وساروا تحت قيادة الله مباشرة .

أما الخطاة غير المؤمنين ، فكانوا خارجاً ، تحت حكم الموت ، تجرفهم المياة ، فتبيدهم وتبيد خطاياهم معهم . إنهم رفضوا أن يدخلوا مع نوح إلى الحياة ، لأن كل أعمالهم كانت غير أعماله .

لقد فصلوا أنفسهم عن الله ، الذى خلقهم للحياة .

وعن أمثال هؤلاء يقول القديس يوحنا الحبيب :

« منا خرجوا . ولكنهم لم يكونوا منا . لأنهم لو كانوا منا ، لبقوا معنا » (يو٢ : ١٩) .

لقد فصلوا أنفسهم عنا ، ولم يعودوا منا . وعبارة « لم يكونوا منا » تشبه عبارة السيد « إني لا أعرفكم قط » (مت ٧ : ٢٣) .

أنظروا إلى يهوذا : كان واحداً من الإثنى عشر . ولكنه لعله كانت تنطبق عليه عبارة « لم يكونوا منا » التي قالها القديس يوحنا الحبيب ... كان منا من جهة العدد ، وأمام الناس . ولكنه لم يكن منا حسب قلبه ونيته . ولذلك فهو قد جلس إلى العشاء مع باقي التلاميذ ، بغير إستحقاق . ولما أخذ اللقمة دخله الشيطان . و يقول الكتاب « ذاك لما أخذ اللقمة خرج للوقت » (يو١٣ : ٣٠) .

و بخروجه فصل نفسه عن التلاميذ ، إلى الأبد ...

وديماس ، تلميذ بولس الرسول ، سار في طريق يشبه يهوذا .

كان منا ، واحداً من الكارزين الكبار ، من مساعدى القديس بولس الرسول . ذكره القديس فى رسالته إلى أهل كولوسى إلى جوار إسم القديس لوقا الطبيب (كو٤ : ١٤) . وذكره فى رسالته إلى فليمون مع مرقس وإرسترخس ، وقبل لوقا (فل ٢٤) ... ولكنه يبدو أنه لم يكن منا ، لأنه لما أحب العالم الحاضر فصل نفسه عن الرسل وهكذا يقول القديس بولس فى خاتمة مأساة هذا الإنسان :

« ديماس تركني ، لأنه أحب العالم الحاضر » (٢ تي ٤ : ١٠).

إنفصل ديماس عن القديس بولس . محبته للعالم فصلته عن الخدمة كلها . ولم يعد إسمه يذكر فى الكتاب ، ولا فى جماعة المؤمنين . والتاريخ يذكر له نهاية مفجعة ...

إنه لم يحتمل صليب المسيح فى الخدمة . ففصل نفسه .

والخطية غالباً ما تكون إنفصالاً عن صليب المسيح ...

إنها إنفصال عن الباب الضيق الذى أمرنا الرب بالدخول منه (مت٧: ١٣) . وإنفصال عن الضيقات التى قال عنها الرسول « إنه بضيقات كثيرة ينبغى أن ندخل ملكوت الله » (أع ١٤ : ٢٢) .

الخطية هى محبة العالم ، والباب الواسع ، والطريق الرحب . وكل هذا لا يتفق مع صليب المسيح الذى قال عنه الرسول « صلبت للعالم وصُلب العالم لى » (غل٢: ٢٠) . فمن يفصل نفسه عن الصليب ، يفصل نفسه عن الله وعن جماعات المؤمنين .

ما أسهل إن عرف إنسان الخطية ، أن ينفصل عن الكنيسة .

ينفصل عن خلطة القديسين ، و يبحث له عن مجموعة أخرى توافقه فى أسلوبه ، ولا تبكته على خطاياه ... و ينفصل أيضاً عن الكنيسة وعن الإجتماعات الروحية ، وعن التناول والإعتراف ... يختط لنفسه خطة جديدة ، بحيث يمارس خطاياه دون أن يتبكت من

أحد ... بل حتى الكتاب المقدس ، والكتب الروحية ينفصل عنها أيضاً ، لأنه لا يستطيع أن ينفذ ما تأمر به من روحيات ...

هذا لم تفصله الكنيسة ، لكنه فصل نفسه بنفسه ...

هو قد إنفصل من الداخل ، فى داخل قلبه وشعوره ، فى أسلوب فكره وإتجاهات حياته . أحب شهوة الجسد أو شهوة العين أو تعظم المعيشة (١يو٢ : ١٦) . أو أحب المال مثل الشاب الغنى الذى إنفصل عن المسيح ، ومضى حزيناً ، لأنه كان ذا أموال كثيرة (مت١٩ : ٢٢) .

خطورة الانفصال وإمكانية الرجوع :

أما أنت يا أخى ، فلا تسمح للشيطان أن يفصلك عن الله ، و يقتادك خطوة خطوة بعيداً عنه ، حتى يفصلك تماماً ، و يقطع كل الروابط الروحية التى تربطك بمحبة الرب ...

إنما إستيقظ بسرعة إلى نفسك ، والتفت إلى خلاصك ...

تأكد أنك أنت الخاسر بإنفصالك عن الله ...

إنك بهذا الإنفصال تخسر نقاوة قلبك ، وتخسر سمعتك ، وتخسر أبديتك . تخسر الحياة الحقيقية التى هى المتعة مع الله ، وتخسر نفسك ،

إذ تخسر الأبدية السعيدة وعشرة القديسين . وفى مقابل ذلك ، لا تحصل على شىء ههنا . وكما قال السيد المسيح له المجد :

« ماذا يستفيد الإنسان لو ربح العالم كله وخسر نفسه » (مت ١٦ : ٢٦) .

ماذا تستفيد إن فصلت نفسك عن الله وملائكته وقديسيه ، وأصبح مصيرك هو الظلمة الخارجية فى البحيرة المتقدة بالنار والكبريت (رؤ ٢٠ : ١٥) و يصدر عليك الحكم الإلهى الذى لا إستئناف له ...

ولكن الآن ماتزال أمامك فرصة للرجوع إلى الله ...

يقيناً إنك لا تستطيع أن تستمر فى هذا الإنفصال عن الله . فى قلبك صوت ثائر عليك ، يدعوكِ أنت تصطلح مع الله . وهو نفسه يريد لك هذا الرجوع . لأن إنفصالك عن الله ، ليس هو الوضع الأصيل ، ولا هو القصد الإلهى من خلقك .

أنا أعرف أنك لابد سترجع ...

لن تجد راحتك فى هذا العالم المتعب . وحينئذ سترجع إلى الله . ولعله ستنطبق عليك تلك العبارة الجميلة التى وردت فى قصة الفلك

إن الحمامة إذ لم تجد موضعاً لرجليها ، رجعت مرة أخرى إلى الفلك (تك٨ : ٩) .

والفلك هو سفينة النجاة ، التى يدعوك الله إليها ... حيث تكون فى أمان من طوفان العالم الحاضر .

لا تنتظر حتى يرسل إليك ضيقة ترجعك ، بل أرجع من نفسك حباً لله ، وحباً للخير ، وحباً للملكوت الأبدى ...

أعرف أن الخطية قد فصلتك عن كل ما هو خير ، ولم تقدم لك عوضاً عن ذلك ، فقد خسرت الله بلا مقابل . هوذا بولس الرسول يدعو كل مشتهيات العالم نفاية . و يقول فى معرفته للرب « خسرت كل الأشياء ، وأنا أحسبها نفاية ، لكى أربح المسيح وأوجد فيه » (فى ٣ : ٨) بل يقول أيضاً « أنى أحسب كل شيء أيضاً خسارة ، من أجل معرفة المسيح ربى » .

جاهد إذن بكل قوتك ، لتضع نهاية لهذا الإنفصال .

وإن لم تستطع ، أصرخ إلى الله ، وقل له :
أنا يارب لا أستطيع أن أبعد عنك لحظة واحدة .

ولا طرفة عين . أنت بالنسبة إلىّ هو الحياة ذاتها ... لى الحياة هى المسيح . أنا إن فُصلت عنك أصير ضائعاً بلا هدف ، وتصبح حياتى

بلا وزن . وكأنى ميت ، أو لا وجود لى .

وجودى الحقيق هو فيك (فى ٣ : ٩) .

لا يمكن أبداً أن أنفصل عنك . وإن إنفصلت فى وقت ما ، ثق تماماً أنه وضع مؤقت ، وغير طبيعى ، وأنا لا أريده ...

لذلك أرجعنى إليك بأية وسيلة ... ردّ نفسى ...

لأنه بدونك لا أعيش . فبك أحيا وأوجد وأتحرك ... (أع ١٧ : ٢٨) .

إذا إنفصلت عنك ، إنفصل عن القوة والنعمة ، وأصبح لا شىء . أعود تراباً كما كنت ، بل عصافة تذريها الريح (مز ١) .

لذلك لا تسمح يارب أن أنفصل عنك ...

ردّ نفسى ، وأهدنى إلى سبل البر ، لأجل إسمك (مز٢٣) .

لك المجد من الآن ، وإلى الأبد آمين .



الرجوع الى الله

"ارجعوا إليّ بكل قلوبكم"

(يوئيل ٢ : ١٢)

"إرجعوا إلىّ أرجع إليكم"

(ملاخي ٣ : ٧)

"توبوا وارجعوا فتمحى خطاياكم"

(أع ٣ : ١٩)

قصة الانفصال عن الله :

علاقة الإنسان بالله بدأت طيبة جداً ، كلها محبة ...

الله هو الذى بدأ هذه العلاقة ... بأن خلق الإنسان ، ونفخ فيه
ـمة حياة ، وجعله على صورته ومثاله ، ووضعه فى الجنة ، ومنحه
طاناً على كل ما فيها من كائنات ...

وكوّن علاقة معه . وكان يظهر له بين الحين والآخر ويتحدث
ه . وكان الإنسان صديقاً لله ، يتمتع برؤياه فى الجنة ، ويأخذ
ـرفة منه مباشرة . فكان الله هو المرشد الروحى للإنسان فى كل
ء . وهو الذى أعطاه الإرشاد الأول ، بالوصية ...

إذن كيف حدثت الخطية ؟ كيف تمت ؟ وما كنهها ؟

الخطية - فى كلمة واحدة - هى الإنفصال عن الله ...

هى إستقلال الإنسان عنه ، لكى يعمل ما يريد ...

**ونتيجة لهذا الإنفصال ، حدثت باقى الاشكالات ، وباقى
ايا ...**

كيف إذن حدث هذا الإنفصال ؟ وكيف تطور ؟ وما نتائجه ؟

١ ـ إنفصل عن عشرة الله :

إنفصل الإنسان عن عشرة الله ، و بدأ يكون له علاقة مع كائن عاقل غيره . وللأسف كانت هذه العلاقة الجديدة مع عدو الله ، مع الشيطان ، الحية القديمة (رؤ ١٢ : ٩) .

٢ ـ وإنفصل عن الله فى المعرفة :

فبعد أن كان يأخذ معرفته من الله وحده ، بدأ يأخذ المعرفة من طريق آخر . من الحية ونصائحها وشكوكها . وأيضاً توقع أن يأخذ المعرفة من شجرة المعرفة التى نهاه الله عنها . وبهذا وقع فى إنفصال آخر .

٣ ـ إنفصل عن وصية الله وكلمته المقدسة ...

٤ ـ إنفصل عن الله ، فى شهوات قلبه ...

فصار يشتهى الشجرة ، و يشتهى الثمر ، وجدها « شهية للنظر ، جيدة للأكل » (تك ٣ : ٦) . وهكذا وقع فى شهوة الأكل أيضاً ، وفى شهوة المادة . وشهوة الأكل من الشجرة كان سببها شهوة أن يصير مثل الله كما أغرته الحية (تك ٣ : ٥) .

٥ ـ وبإنفصاله عن الله ، إنفصل عن الحق ...

لأن الله هو الحق . وإذ إنفصل الإنسان عنه ، إنفصل عن الحق ، واتبع الباطل . والمعروف أن الحق ثابت ، والباطل كثير التغير . فلما إنفصل الإنسان عن الحق ، ودخل فى الباطل ، دخل فى تغيرات لا تنتهى . وأصبح كل يوم فى حال ، وكل يوم فى شعور... صار مخلوقاً متغيراً ، غير ثابت على وضع .

٦ ـ وبإنفصاله عن الله ، إنفصل عن الحياة ...

لأن الله هو الحق والحياة (يو ١٤ : ٦) . وإذ إنفصل الإنسان عن الحياة الحقيقية ، التى هى الثبات فى الله ، أصبح من الناحية الروحية ميتاً ، حسبما قال الآب عن إبنه الضال « إبنى هذا كان ميتاً ... » (لو١٥ : ٢٤) . وصار ينطبق على الإنسان قول الرب « إن لك إسم أنك حى وأنت ميت » (رؤ٣ : ١) .

٧ ـ وبإنفصال الإنسان عن الله ، إنفصل عن القوة ...

مصدر قوته كان هو الله . و بإنفصاله عن الله ، إنفصل عن القوة ، فصار ضعيفاً : ينتصر عليه الشيطان ، وتقوى عليه حتى الحيوانات ، و ينتصر عليه أخوه الإنسان . وتنتصر عليه ذاته كذلك ... أصبح مخلوقاً ضعيفاً لا يستطيع أن يقوم بذاته ، أو يقيم ذاته .

٨ ـ وبإنفصاله عن الله ، إنفصل عن سلطته ...

إنفصل عن السلطان الذى أُعطى له من الله على باقى الكائنات الحية . فلم يعد له سلطان على وحوش الأرض كما كان من قبل .

٩ ـ وإنفصل أيضاً عن وقاره وهيبته ...

فارقته الهيبة التى كانت له كصورة الله ومثاله ، وقد فقد هذه الصورة الإلهية بسقوطه فى الخطية .

وفى فقده لوقاره ، طرد من الجنة ، ووقف أمام الله كمذنب مستحق للعقوبة .

والشيطان ، إذ رأى الإنسان مطروداً من الله ومذنباً ومعاقباً ، وجدها فرصة فسيطر عليه ... وأقام الشيطان نفسه رئيساً لهذا العالم . وأصبح هكذا لقبه « رئيس هذا العالم » (يو١٤ : ٣٠) .

١٠ ـ وبإنفصال الإنسان عن الله ، بدأ ينهار ، ودخله الخوف ...

بدأ يخاف من الله ، بدلاً من الدالة والحب .

ثم صار يخاف من أخيه الإنسان ، كما خاف قايين وقال « يكون كل من وجدنى يقتلنى » (تك ٤ : ١٤) . وصار أيضاً يخاف من الوحوش ، ودخله القلق والإضطراب والهم .

١١ ـ وبإنفصاله عن الله ، إنفصل عن حياة الروح ...

وهكذا سيطرت عليه المادة ، وسيطر عليه الجسد . ووقع فى خطايا الجسد . وأصبحت خطايا الجسد تحارب حتى الأنبياء ورجال الله ، فوقع فيها شمشون ، وداود ، وسليمان ، وغيرهم . وقيل إنها « طرحت كثيرين جرحى ، وكل قتلاها أقوياء » (أم٧ : ٢٦) .

١٢ ـ وبإنفصال الإنسان عن الله ، تمادى فى الخطية ...

شيئاً فشيئاً بدأت خطاياه تزيد ، وأخذ الإنسان يتهاوى شيئاً فشيئاً ، و يتمادى فى أعمال الشر والنجاسة ، ويخترع فيها فنوناً وحيلاً ، إلى أن أصبحت خطاياه أكثر من شعر رأسه .

* * *

هذا هو تاريخ الخطية على الأرض ، وإنفصال الإنسان عن الله ...

تاريخ يسجل مأساة إنسان ...

نفهم منه أن الخطية لا تستريح حتى تكمل ...

الشيطان إذا أوقع إنساناً فى خطية ، لا يكتفى بها . بل يظل

يتدرج معه حتى يهلكه ، و يصيره بلا مقاومة ...
فما هو الحل إذن ؟

الحل الوحيد هو الرجوع إلى الله ، وتكوين علاقة معه ...

إن كانت الخطية هى الإنفصال عن الله ، فالعلاج الوحيد ه الإنفصال عن الخطية ، والرجوع إلى الله . ولا علاج غير هذا ...
إنفصل عن الخطية بكل قلبك ، ليس فقط من أجل أنها أتعبتك أو من أجل الدينونة والعقاب ، إنما لأن هذه الخطية أبعدتك عن الله وفصلتك عن العشرة الحلوة معه .

‡ مامعنى الرجوع إلى الله؟

معناه بإختصار : تكوين علاقة حقيقية قلبية معه ...
أقول علاقة ، وليس مجرد مظاهر خارجية أو ممارسات ...

البعض يظن أن الرجوع إلى الله ، معناه برنامج فى الصلاة والصو والتداريب الروحية ، والقراءات الروحية والإجتماعات والمطانيات ...
كل هذا حسن وجميل ، ولكن هل فيه علاقة قلبية مع الله أم لا ؟
هل فيه حب لله أم لا ؟

بدون هذه العلاقة القلبية ، و بدون هذا الحب ، لا تكون قد
ت إلى الله ، مهما كانت لك صلاة وأصوام وقراءات ومطانيات ...
إنما بالعلاقة مع الله و بالحب ، تأخذ كل هذه الوسائط الروحية
يتها وقوتها ... فالقلب أولاً ، ومنه تصدر هذه الممارسات .
ولهذا يقول الرب فى سفر يوئيل النبى (٢ : ١٢ ، ١٣) :

« إرجعوا إلىَّ بكل قلوبكم ... » (يوئيل ٢ : ١٢) .

يقول « إرجعوا إلىَّ بكل قلوبكم ، و بالصوم والبكاء والنوح »
« مزقوا قلوبكم لا ثيابكم ، وإرجعوا إلى الرب إلهكم »
إذن الرجوع القلبي هو المطلوب . القلب أولاً . ومن هذا القلب
جع ، المنسحق أمام الله ، يأخذ الصوم قوة ، وكذلك الدموع .

عجيب أن كثيراً من الناس ، يتمسكون بالوسائط و ينسون

.

كإنسان كل همه أن يتلو مجموعة من المزامير . إن لم يتلها يكون
يناً . وإن أكملها يصير سعيداً ، حتى لو لم تكن له علاقة بالله أثناء
تها !! كلا ، ليس الأمر هكذا ...

إن المزامير لها قوتها الروحية الجبارة ، ولها بركتها وتأثيرها
عليتها ، بشرط أن تكون صادرة من القلب ، بعلاقة مع الله .

أما بغير هذه العلاقة ، و بغير مشاعر القلب ، فقد تصلى ، ومع صلاتك يسرى الفتور والسرحان وطياشة الفكر. وقد تصلى بلا عاطفة ، و بلا حرارة و بلا إيمان ، ودون شعور بالوجود فى حضرة الله ... لقد تحول الأمر إلى مجرد ممارسة ، بدون علاقة قلبية فى الداخل تعطى هذه الممارسة وزناً وقيمة ...

أو كإنسان يصوم ، والله ليس فى صومه ...

كل همه يتركز فى فترة الإنقطاع وتطو يلها ، وفى زهد الطعام ونسكه . ربما لا يأكل شيئاً حلواً ، أو لا يأكل شيئاً مطبوخاً ، أو يقتصر على الماء والخبز والملح . فإن فعل ذلك ، يكون راضياً عن نفسه . شاعراً إنه ناجح فى صومه . أما إستخدام الصوم كوسيلة توصله إلى الله ، فربما يكون أمراً لم يخطر على باله ... !

إن القلب هو الأساس . وبه نميز بين إثنين :

إنسان يصلى المزامير، فيخرج بها الشياطين . وآخر يصلى المزامير، وكأنه لم يصل ، إذ لا علاقة فى قلبه مع الله .

هناك من يصوم ، فينال مراحم الرب وغفرانه ، كما فعل أهل نينوى . وغيره يصوم فلا يقبل الله صومه ، كما حدث للفر يسى .

القلب إذن هو الحكم . والرجوع إلى الله ، نر يده بالقلب .

كذلك الرجوع إلى الله ، معناه الرجوع الدائم الثابت .

الرجوع الذى لا نكسة فيه . لأن هناك أناساً يظنون أنهم قد رجعوا إلى الله ، بينما يحيون مترددين ، يوماً معه وربما بحرارة شديدة ، و يوماً فى شهوات العالم ورغباته . كما قيل فى قصة الفلك عن الغراب الذى أطلقه نوح ، إنه « خرج متردداً » (تك ٨ : ٧) .

لا يكون رجوعك إلى الله إذن ، هو رجوع فى مناسبات ، أو فى أصوام ، أو فى تأثرات معينة ، أو فترات تدريبات ، رجوعاً موسمياً ، تعود بعده إلى خطاياك السابقة ، منفصلاً عن الله مرة أخرى ... !

خذ درساً ـ فى الرجوع إلى الله ـ من قصص القديسين ...

القديس موسى الأسود مثلاً ، حينما رجع إلى الله ، رجع بكل قلبه ، ولم يعد إلى خطاياه الأولى مرة أخرى ، بل ظل ينمو و ينمو حتى تحول إلى مرشد روحى وقدرة لكثيرين .

ومريم القبطية ، و بيلاجيه ، وأوغسطينوس ، وغيرهم . كل أولئك رجعوا إلى الله ، ولم ينفصلوا عنه مرة أخرى ، إنما تقدموا باستمرار فى النمو الروحى ، من حياة التوبة إلى حياة القداسة ...

والرجوع إلى الله معناه الرجوع بقلب جديد ...

والله نفسه يقول فى ذلك ... أعطيكم قلباً جديداً ، أجعل روحاً

جديدة فى داخلكم » (خر٣٦ : ٢٦) .

والقديس بولس الرسول يقول « تغيروا عن شكلكم بتجديد أذهانكم » (رو١٢ : ٢) ، أى بفكر جديد ، يزن الأمور بميزان غير ميزانه السابق . فكر أصبحت للروحيات عنده قيمتها ، وفقدت الخطية تأثيرها عليه ...

و يكون الرجوع إلى الله بالصوم والتذلل ...

كما رجع إليه أهل نينوى . سمعوا إنذار النبى إنه بعد أربعين يوم تنقلب المدينة (يون٣ : ٤) . ولكنهم لم ييأسوا من مراحم الله ، ورجعوا إليه بالصوم والتذلل . فماذا فعلوا ؟

« نادوا بصوم . ولبسوا مسوحاً من كبيرهم إلى صغيرهم . و بلغ الأمر ملك نينوى ، فقام عن كرسيه وخلع رداءه عنه ، وتغطى بمسح ، وجلس على الرماد » . وهكذا تغطى جميع الناس بالمسوح ، وصرخوا إلى الله بشدة ، ورجعوا عن طر يقهم الردية ... فرجع الله إليهم .

نفس الصوم والتذلل ، نراه فى سفر يوئيل (١٢ : ١٥ - ١٧) .

حيث قال : قدسوا صوماً ، نادوا بإعتكاف . إجمعوا الشعب ، قدسوا الجماعة ... ليخرج العريس من مخدعه ، والعروس من

حجلتها . ليبكِ الكهنة خدام الرب بين الرواق والمذبح .

وفى نفس الوضع نراه فى صوم دانيال النبي وتذلله .

يقول : « فوجهت وجهى إلى الله ، طالباً بالصلاة والتضرعات ، بالصومِ والمسح والرماد . وصليت إلى الرب إلهى واعترفت (دا ٩ : ٣) « كنت نائحاً ثلاثة أسابيع أيام ، ولم آكل طعاماً شهياً ، ولم يدخل فى فمى لحم ولا خمر ، ولم أدّهن » (دا ١٠ : ٢ ، ٣) .

والرجوع إلى الله ، يتميز بالحرص والتدقيق والجدية ...

الذى يرجع إلى الله ، يكون فرحاً جداً برجوعه ، حريصاً على هذا الصلح الذى تم بينه وبين الله . لذلك يكون مدققاً جداً لئلا تصيبه نكسة فيسقط كما كان ...

لقد جرّب من قبل مشاكل التساهل مع الخطية . وكيف أنه إذا تساهل مع الفكر ، يتحول إلى شعور فى القلب ، ثم إلى شهوة تشتعل داخله ، وتبدأ الخطية تسيطر عليه . ويصبح من الصعب أن يفلت منها .

لذلك يدقق مع كل فكر ، ومع جميع الحواس ...

يدقق مع الخطايا التى تبدو صغيرة ، مثلما مع الخطايا الواضحة

الخطأ . و يقرن مع النشيد : « خذوا لنا الثعالب ، الثعالب الصغار المفسدة للكروم » (نش ٢ : ١٥) . و يقول للخطية وهى فى أولها « طوبى لمن يمسك أطفالك ، و يدفنهم عند الصخرة » (مز ١٣٧ : ٩) . وهكذا يكون أميناً فى القليل ...

بهذا التدقيق تختبر أمانتك فى الرجوع ...

لأنك إن تساهلت مع الخطية ، لا تكون أميناً فى رجوعك إلى الله . و يكون قلبك ضعيفاً من الداخل ،يسهل سقوطه .

والرجوع الحقيق إلى الله ، هو رجوع بقوة ...

رجوع يمنحك فيه الله قوة تلمسها فى كل نواحى حياتك الروحية : قوة فى الإنتصار على الخطية ، وقوة فى النمو الروحى ، وفى الإرتفاع إلى فوق . وكما قيل عن ذلك فى سفر أشعياء النبى « يعطى المعيى قدرة ... يجددون قوة . يرفعون أجنحة كالنسور . يركضون ولا يتعبون . يمشون ولا يعيون » (أش ٤٠ : ٢٩ ، ٣١) .

شمشون الجبار فقد قوته لما أخطأ ، لأن نعمة الله فارقته . لكنه لما رجع إلى الله ، عادت إليه قوته ...

أطلب من الرب إذن أن يعطيك قوة ترجع بها ، وأن يعطيك قوة

تلازمك فى رجوعك إليه ، قوة من روحه القدوس ... قوة تحسها فى كل عمل تمتد إليه يدك ، كما قال فى المزمور الأول عن الرجل البار « وكل ما يعمله ينجح فيه » (مز ١ : ٣) .

كإنسان كان مريضاً جداً ، ثم نقلوا إليه دماً ، فتقوى ...

بنقل الدم ، عاد إليه نشاطه ، وعادت إليه حيويته ، ودخلت فيه قوة... هكذا أيضاً التائب الراجع إلى الله ، حينما تدخله قوة من عمل روح الله فيه ...

ولهذا كلما تجد نفسك ضعيفاً ، أرفع نظرك إلى فوق ، وقل للرب فى صراحة تامة :

لماذا هذا الضعف فىَّ ؟ هل تخلّت عنى نعمتك بسبب خطاياى ؟ ... ارددنا يا الله . أنر بوجهك علينا فنخلص ...

ما أجمل هذا المزمور ، الذى جعلته الكنيسة لحناً ، ترتله لله قائلة له فى تضرع :

أيها الرب إله القوات . إرجع واطلع من السماء
أنظر وتعهد هذه الكرمة التى غرستها يمينك (مز ٨٠ : ١٤ ، ١٥) .

فهل يرجع الله ويتعهد هذه الكرمة ؟
وهل يريد لنا الله أن نرجع إليه ؟

* الله يريدنا أن نرجع :

إنه ينادينا فى حب « إرجعوا إلىّ ، فأرجع إليكم » (ملا ٣: ٧).

وتحمل هذه العبارة كثيراً من المعانى العاطفية :

١ - إنه يذكّرنا بأن أصلنا عنده ، والخطية دخيلة علينا ...

وكأنه يقول لنا : ليس إنفصالكم عنى هو وضعكم الأصلى . فوضعكم الأصلى هو الثبات فىّ . لأنى أنا الكرمة ، وأنتم الأغصان (يو ١٥ : ٥) وطبيعة الغصن أن يكون ثابتاً فى الكرمة . وأنا الرأس ، وأنتم الجسد ، أنتم الأعضاء (أف ٥ : ٢٣) . فثباتكم فىّ أمر طبيعى .

لذلك لست أناديكم أن تأتوا إلىّ ، بل أن ترجعوا إلىّ ...

ترجعوا إلى الوضع الطبيعى الذى كان لكم منذ البدء ...
ترجعوا إلى الصورة الإلهية التى كانت لكم يوم خلقتم ...
إنفصالكم هذا ، وضع طارىء ، مؤقت ، لا يصح أن تبقوا فيه . وحياة البر والقداسة ليست جديدة عليكم ، بل هى طبيعتكم التى بدأت بها علاقتى معكم ، والتى تعيشون بها معى فى الأبدية .

٢ ـ تحمل عبارة « إرجعوا إلىَّ » دليلاً على حنو الله ...

فمن نحن التراب والرماد ، حتى يدعونا الله للرجوع إليه ؟!

لكنها محبة الله ، التى لا يعبر عنها ، التى تذكرنا بترتيلة « يا حبيبى ، عد إلىَّ » . إنه يريد أن تظل عشرتنا به ثابتة ، هذا الذى لذته فى بنى البشر ، الذى يقول لنا « حيث أكون أنا ، تكونون أنتم أيضاً » (يو١٤ : ٣) الذى إسمه عمانوئيل ، أى الله معنا (مت ١ : ٢٣) وقد جعل أورشليم السمائية هى « مسكن الله مع الناس » « الله وسط شعبه » (رؤ٢١ : ٣) .

٣ ـ وحسن فى هذا الرجوع ، أن تأتى المبادرة من الله .

فهو الذى يبدأ ، وهو الذى يطلب ، وهو الذى يدعونا إليه . بل هو من أجل هذا أرسل إلينا الأنبياء ، ووضع لنا سر التوبة . ووعدنا فى رجوعنا أن ينسى القديم كله ولا يذكره بعد (أر٣١ : ٣٤) .

ولكن ما معنى قوله « إرجعوا إلىَّ ، فأرجع إليكم » ؟ هل معنى هذا أن رجوعنا لا بد أن يسبق رجوعه ، أو هو شرط لرجوعه ؟!

كلا ، وإنما هو يقصد بهذا أن يقول :

٤ ـ إن رجوعى إليكم مضمون . المهم أن ترجعوا أنتم ...

أنا فى أى وقت تطلبوننى فيه ، تجدوننى معكم . بل أنا واقف على أبواب قلوبكم أقرع لكى تفتحوا لى (رؤ٣: ٢٠) . إنما المشكلة تأتى من جهتكم أنتم . « فإن سمع أحد صوتى وفتح الباب ، أدخل إليه » . لذلك أقول « إرجعوا إلىَّ » أى أفتحوا أبواب قلوبكم المغلقة دونى ... « فأرجع إليكم » أى أدخل إلى هذه القلوب التى أخرجتمونى منها ، برفضكم إياى فى خطاياكم ...

إرجعوا إلىَّ ، فأنا موجود معكم . ولكنكم لا تشعرون بوجودى ...

حقاً لقد صدق القديس أوغسطينوس حينما قال : [كنت يارب معى ، ولكننى أنا لم أكن معك] ...

الله معنا ، يعمل لأجلنا ، حتى ونحن فى عمق خطايانا . يبحث عنا وقد شردنا من حظيرته ، و ينادينا أرجعوا إلىَّ .

ما معنى إذن رجوعه إلينا ، إن رجعنا إليه ؟

معنى رجوعه إلينا ، هو أن نحسّ نحن بوجوده معنا ...

ليس رجوع الله هو الذى نفتقده . إنما الذى يلزمنا هو إحساسنا بوجوده معنا . فإن رجع إلينا هذا الشعور ، نشعر أن الله رجع إلينا ...

أحيانا نظن أن الله قد تركنا ، بينما نكون نحن الذين تركناه .
ذلك أذكر أننى فى إحدى المرات (سنة ١٩٥٧) تأثرت بمنظر
شمس وقت الغروب ، و باتهامنا الباطل لها ، فكتبت فى مذكرتى :

**قلت لنفسي وقت الغروب : لم يحدث أن الشمس حجبت
جهها عن الأرض . إنما هى الأرض التى أدارت ظهرها
شمس .**

نعم ، فالشمس ثابتة . والأرض هى التى تدور حولها . وما نسميه
روب الشمس ، ما هو تعبير عن دوران الأرض .
كذلك فى العلاقة بيننا و بين الله : نحس أنه غاب عنا ، لأننا نحن
ذين درنا ، ولم يعد وجهنا متجهاً إليه .
فإن رجعنا إلى الله ، نحس وجوده معنا ، ونحس نوره يشرق علينا ،
ن الله ثابت ، ليس عنده تغيير ولا ظل دوران (يع ١ : ١٧) .

فأنظر أنت : فى أى شىء قد إبتعدت عن الله ؟

فى أية نقطة من الطريق قد إفترقت عنه ؟ أية خطية قد فصلتك
نه وعن محبته . وأعرف يقيناً أن هذا الإنفصال هو منك أنت .
فأذكر من أين سقطت وتب » (رؤ ٢ : ٥) .
أما إحساسك ببعد الله عنك ، فهو إحساس بعدم وجود الدالة ،

نتيجة لفتور محبتك أو للخطية التي أبعدتك عنه .

٥ ـ عبارة « إرجعوا إليَّ » تحمل معنى عاطفياً آخر وهو:

إن الله يريدنا أن نسير معه بكامل إرادتنا ، من كل القلب ، وبكل الحب ، لذلك يقول « إرجعوا إليَّ » .

وكأنه يقول : أنا لا أرغمكم على محبتي ، ولا أضطركم على تكوين علاقة معي . إنما الأمر متعلق بإرادتكم أنتم . إن أردتم أن أرجع إليكم ، فإني أرجع إليكم . وإن لم تريدوا ، إسلكوا حسب حريتكم ...

ولعل إنساناً يقول : أريد ولكني ضعيف ...

يكفي أن تريد ، والله سيكمل معك . وكما قال أحد القديسين : [إن الفضيلة تريدك أن تريدها لا غير] ...

إن الله عبر التاريخ ، هو الذى بدأ العلاقة مع البشر...

هو الذى بدأ علاقة مع أبينا نوح ، وإختاره وأنقذه ، وفصله عن الشر والأشرار . وهو الذى بدأ العلاقة مع أبينا إبراهيم ، وإختاره ، وفصله عن الشر والأشرار . وكذلك مع موسى ومع شعبه . وهو الذى بدأ علاقة مع الإثنى عشر ، وقال لهم « لستم أنتم الذين أخترتموني ، بل أنا الذى أخترتكم » (يو١٥ : ١٦) .

فاطمئن إذن إلى رغبة الله فى رجوعك إليه . ولكن فى نفس الوقت ينبغى أن تشترك معه فى الرغبة والعمل ...

ينبغى أن تؤمن تماماً بلزوم الله لك فى الحياة ، وأنك بدونه لا تقدر أن تعمل شيئاً (يو١٥ : ٥) . و ينبغى أن تدرك من أعماقك حلاوة العشرة مع الله ، وسمو وجمال الحياة الروحية ، والرجوع إلى صورة الله التى كانت لآدم النقى البسيط ...

ينبغى أن تذكر نذورك التى نذرتها لله فى المعمودية ...

حينما نذرت أن تجحد الشيطان وكل أعماله الردية ، وكل شروره وكل حيله . وقتذاك بدأت بداية طيبة ، وولدت من الله ، ولبست المسيح (غل٣ : ٢٧) . وخلعت الإنسان العتيق ، وعشت فى جدة الحياة (رو٦ : ٤ ، ٦) . وصرت نقياً من كل خطية ...

وشيئاً فشيئاً ، نسيت نذورك ، ونسيت بنوتك لله ، وتركت نقاوتك ، وإنفصلت عن الله . وتود الآن أن ترجع إليه ...

ولكى ترجع إلى الله ، أذكر أنك ملك له ...

أنت لست ملكاً لنفسك ، حتى تتصرف فيها كما تشاء . إنما أنت ملك لله الذى خلقك ، والذى فداك . وهوذا القديس بولس الرسول

يقول لنا « ... أنكم لستم لأنفسكم ، لأنكم قد إشتريتم بثمن . فمجدوا الله فى أجسادكم وفى أرواحكم التى هى لله » (١ كو ٦ : ١٩ ، ٢٠) .

إن الشيطان قد سلبك من الله . ولكن الله ـ من حبه لك ـ يتمسك بملكيته لك ، و يقول : « إرجعوا إلىَّ » .

إرجعوا إلى نقاوتكم ، التى كانت لكم وأنتم ثابتون فىَّ .
إرجعوا إلى راحتكم ، فلا راحة لكم إلاَّ فىَّ .

كل الذين بعدوا عن الله ، أو إنفصلوا عنه ، لم يجدوا راحة لأنفسهم ، وعاشوا فى تعب وإضطراب . ولقد إختبر أوغسطينوس هذا الأمر فقال للرب : [ستظل قلوبنا قلقة ، إلى أن تجد راحتها فيك] .

والرب الذى يريد لنا الرجوع ، يقول لنا ، ونحن فى تعب العالم وهمومه « تعالوا إلىَّ يا جميع المتعبين والثقيلى الأحمال ، وأنا أريحكم » (مت ١١ : ٢٨) .

إن رجعت إلى الله ، تنحل كل مشاكلك ...

بل تعيش بلا مشكلة لأن المشكلة الوحيدة الحقيقية فى حياتك هى الإنفصال عن الله . وكل المشاكل الباقية قد تكون نتيجة لها . فإن رجعت إلى الله ، تحيا فى سلام ... فى سلام مع الله ، وسلام مع

نفسك وداخل قلبك . « لأنه هكذا قال السيد الرب :

بالرجوع والسكون تخلصون . بالهدوء والطمأنينة تكون قوتكم » (أش ٣٠ : ١٥) .

لذلك إرجع إلى الرب . إرجع إلى النور ، فلا تسلك فى الظلمة . إرجع إلى الروح ، فلا تحيا للمادة ، ولا حسب الجسد . إرجع إلى الحياة ، فالخطية موت ...

وبهذا يتجدد مثل النسر شبابك (مز ١٠٣ : ٥) .

وتشعر بالعزاء فى حياتك الروحية ، وتدب الحرارة فى حياتك ، ويصير لحياتك طعم ، ويصير لها هدف . وتشعر أن الله داخلك ، وأنه معك ، وتذوق ملكوته ، وتختبر حلاوة العشرة معه ، وتعرف معنى عبارة « الإلتصاق بالرب » (مز ٧٣ : ٢٨) .

إن الله يريدنا أن نرجع إليه . يريد لنا الخلاص ، ويريد منا أن نحبه كما أحبنا ...

لذلك هو يقول « إرجعوا إلىَّ بكل قلوبكم » (يوئيل ٢ : ١٢) . ويسجل لنا الوحى الإلهى هذه العبارة الجميلة « هل مسرة أُسر بموت الشرير - يقول السيد الرب - إلاَّ برجوعه عن طريقه فيحيا » (خر ١٨ : ٢٣) .

إن الله يريدنا أن نرجع إليه ، لنحيا ... ذلك لأن الخطية حالة موت روحى على الأرض ، ونتيجتها الموت الأبدى ...

إذن فالله يريدنا أن نرجع ، من أجل صالحنا ...

يضاف إلى هذا حنوه ومحبته ، لأنه لا يسر بموت الخاطئ . إن موت الخاطئ أمر يحزن قلب الله بلا شك . ولهذا فإنه إذا رجع الخاطئ « يكون فرح فى السماء » (لو١٥ : ٧) .

ولقد فرح الرسل و بشروا التلاميذ برجوع الأمم (أع١٩ : ٣) ... واستخدم الكتاب عبارة « رجوع » بالنسبة إلى الأمم ، ذلك لأن الإيمان هو الوضع الأصلى للبشرية عموماً ، قبل أن ينفصل الأمم عن هذا الإيمان وعن الله . فلما آمنوا أُعتبر هذا رجوعاً إلى الله ...

إعرف يا أخى حقيقة هامة وهى :

إن الله يريد رجوعك إليه ، أكثر مما تريد أنت ...

فقد يكون الإنسان الخاطئ غافلاً عن خلاص نفسه ، لا يفكر أن يرجع إلى الله . أو قد يكون ملتذاً بالخطية ، راغباً فى البقاء فيها ، شاعراً إن الرجوع إلى الله سيحرمه من كل ملاذه ...

وفى كل ذلك يكون الله فى سعى مستمر لإرجاع هذا الخاطئ إليه ، بكافة الطرق .

وقصص سعى الله وراء الخطاة كثيرة جداً ...

ذكر منها فى الأصحاح ١٥ من الإنجيل لمعلمنا لوقا البشير، قصة الخروف الضال، وقصة الدرهم المفقود. وذكر إنجيل يوحنا سعى الله لرد المرأة السامرية فى وقت لم تكن تفكر فيه إطلاقاً أن تلتقى معه ... وكذلك وقوف الله على الباب وهو يقرع، يطلب من النفس أن تفتح لهَ ...

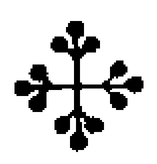
وما لى أذهب بعيداً ... إن كل رسالات الأنبياء تتركز حول هذا الموضوع هو رغبة الله فى رجوعنا إليه ... وليس مجرد الرغبة ... وإنما العمل على ذلك أيضاً .

وهنا نسأل :

إن كان رجوعنا إلى الله، مفرحاً لله، والله يريده و يسعى إليه، ونحن أيضاً نريده ... فكيف إذن نرجع إليه ؟

أتسأل : كيف أرجع إلى الله ؟

إن الصلاة هى الوسيلة الفعالة التى **ترجعك إلى الله .**



* الصلاة هي وسيلة الرجوع:

أسكب نفسك أمام الله وقل له :

أنا يارب أريدك . أريد أن أرجع إليك . فإنتشلني مما أنا فيه ، واجذبني إليك مرة أخرى .

أنا بدونك لا شيء . لقد فقدت حياتي حينما فقدتك .

فقدت لذتي وسعادتي . وأصبحت حياتي بلا طعم ...

أنا يارب أريد أن أرجع إليك . ولكن « أعدائي قد اعتزوا أكثر مني » . إنهم « يتهللون إن أنا زللت » (مز ١٢) . « وكثيرون يقولون لنفسي ليس له خلاص بإلهه » (مز٣) .

لقد فقدت قوتي لما بعدت عنك ، فأعطني قوة من عندك . أعطني المعونة الإلهية التي بها أرجع إليك .

إلق نفسك أمام الله ، وصارع معه . وقل له :

سوف لا أقوم من ههنا ، إلا وقد أخذت منك بركة خاصة ، وشعرت أنك أرجعتني إليك وحسبتني من أولادك .

لست أريد فقط أن تغفر لى خطيتى ، إنما أريد أن تنزع من قلبي كل محبة للخطية على الإطلاق ...

لا أستطيع أن أرجع إليك ، ومحبة الخطية فى قلبى . فماذا أفعل ؟ هل أنتظر إلى أن تزول محبة الخطية من قلبى ، ثم أرجع إليك ؟ بينما لا يمكن أن أتخلص منها إلاَّ بك ... !

ها أنا آتيك بخطيتى كما أنا . وأنت الذى تنزعها منى .

لو كنت أقدر أن أترك محبة الخطية ، لرجعت إليك منذ زمان . فخلصنى أنت منها ، لتقودنى فى موكب نصرتك .

إنزع محبتها من قلبى ، وإنزع سيطرتها من إرادتى ...

« انضح علىَّ بزوفك فأطهر ، وأغسلنى فأبيض أكثر من الثلج »

كما أعطيتنى يارب الوصية ، أعطنى القوة على تنفيذها ...

صدقونى يا أخوتى ، إن الإنسان الناجح فى صلاته ، هو الإنسان الناجح فى توبته ...

وصدق مار إسحق حينما قال : [إن الذى يظن أن هناك طريقاً آخر للتوبة غير الصلاة ، هو مخدوع من الشياطين] .

ذلك لأنك بالصلاة ، تأخذ القوة التى ترجع بها إلى الله . لذلك

أغـصـب نـفـسـك على عمل الصلاة ، أكثر من أى عمل روحى آخر. وفى صـلا تـك صـارع مـع الله . جـاهـد مـعـه ونـاقشه ، حتى وأنت فى خطيئتك التى تر يد التخلص منها .

صمم فى صلا تك ، أن تأخذ من الله القوة لترجع إليه ...

الـبـعـض يـظـن أنه فى صلا ته يعطى ... ! يعطى الله كلاماً و وقتاً ومـشـاعـر. بـينما الصلاة فى عمقها هى عملية أخذ . تشعر فيها أنك قد أخـذت من الله مـتـعـة روحـيـة ، و بـركة ، وقوة ومعونة ، وقدسية فى الحياة . بل يكفى أنك أخذت فى وقت الصلاة صلة به ...

والله مستعد أن يسمع لصلا تك و يعطى ، ولكن المشكلة هى :

أن كثير ين لا ينتظرون فى صلواتهم ، حتى يأخذوا ... !

الـواحـد منهـم يـقـول كـلمتين فى صلا ته ، ثم يسأم بسرعة ، ويمل البقاء فى الصلاة ، ويمضى دون أن يأخذ شيئاً ... !! والله ينظر إلى هذا (المصلى) كيف مضى هكذا سر يعاً ولم ينتظر ليأخذ ، ولو وعداً ، ولو عزاء .

إمـسك بالله إذن . وقل له لا أتركك ... لا أتركك حتى أشعر أنك قبلتنى إليك ، وأرجعتنى إليك وإلى محبتك ...

الصلاة تحتاج إلى طول بال . تحتاج إلى صراع مع الله ، تثبت به أنك جاد فى طلبتك ، وجاد فى طلب التوبة ، وفى طلب المعونة للرجوع . بحيث إن إستجاب الله وأعطاك قوة ، سوف تستخدمها حسناً ولا تهملها ...

ناقش الله - بدالة - فى صلاتك وقل له :

هل يفشل الضعفاء فى الوصول إلى ملكوتك يارب ؟

هوذا أنا ضعيف ، عاجز بذراعى البشرى عن الوصول ، فامسك أنت بيدى ، ولا تتركنى لضعفى . واغسلنى وطهرنى ، كما غسلت وطهرت غيرى ... ألم تقل « اسألوا تعطوا » (مت ٧ : ٧) . هوذا أنا أسأل ألم تقل « كل ما طلبتموه من الآب بإسمى يعطيكم » (يو١٦ : ٢٣) ؟ هوذا أنا أطلب .

أنا يارب سأتمسك بجميع وعودك ، وأطالبك بها ...

على الأقل سأتمسك منها بقولك « ... أعطيكم قلباً جديداً ، وأجعل روحاً جديدة فى داخلكم . وأنزع قلب الحجر من لحمكم ، وأعطيكم قلب لحم . وأجعل روحى فى داخلكم . وأجعلكم تسلكون فى فرائضى ، وتحفظون أحكامى ، وتعملون بها » (مز٣٩ : ٢٦، ٢٧) .

أين هذه الوعود بالنسبة إلىَّ أنا يارب ؟

هوذا أنا واقف هنا ، ممسكاً بقرون المذبح ...

الذين يصلون دقيقتين ثم يمضون ، انا لست واحداً منهم . أ
مرابط لك هنا يارب . لن أترك صلاتى ، حتى أخرج منها وقد أنعمت
علىَّ بالتوبة وأرجعتنى إليك .

ومع ذلك أغفر لى يارب جرأتى ، فأنا إبن صغير لك ، وإن كنت
قد ضللت . عاملنى كإبن صغير لا يعرف شيئاً . وأنت - كأب شفوق
تعرف كيف تعطى أولادك عطايا حسنة (مت ٧ : ١١) .

**هكذا جاهد مع الله ، باللجاجة ، بالتذلل ، بطول الأناة
بالدالة ، بالبكاء ، بالنقاش ، بأية الوسائل ... حتى تأخذ ...**

بمثل هذا الصراع ، ثق أنك ستأخذ من صلاتك ، او
صلاتك ، عزاء وحرارة ، وتشعر أن موضوع الإنفصال عن الله قد إنتهى
تماماً ، وأنك لم تكن تكرر الكلام باطلاً كالأمم ، إنما كنت تسكب
نفسك سكيباً أمام الله ، كما فعلت حنة أم صموئيل .

كانت تصلى صلاة ، وتبكى بكاء ، وتنذر نذراً . ولم تخرج من
الهيكل إلاَّ وقد أخذت وعداً ، بأن الرب قد أعطاها سؤل قلبها
(١صم ١ : ١٠، ١٧) .

**هكذا أنت ، لا تخرج من صلاتك ، إلاَّ وقد كونت علاقة
جديدة مع الله ، ورجعت إليه .**

وطبيعي ، ليس ممكنا لك ـ بعد صلاة كهذه ـ أن تترك الصلاة وتخطيء إلى الله ! ستخجل لابد من صلاتك ، ومن قولك لله : لا أتركك ...

وهكذا فإن الصلاة تعلم التوبة ، وتقود الإنسان فى الرجوع إلى الله وإلى محبته ...

ولكنك لعلك تقول : ليست لى الحرارة التى أصلى بها .

نصيحتى لك أن تصلى كما أنت . وقل له :

سامحنى يارب إن كنت أصلى بدون حرارة . فأنا أصلى بالفراغ الذى فى قلبى . وأنت الذى تعطينى الحرارة . أنت الذى تسكب نارك المقدسة فى قلبى ... خذ صلاتى كما هى ، بنقصها ، فالأمور لا تبدأ كاملة . والكمال هو من عندك .

أنا أصلى ، ولو بدون روح ! وأنت تمنحنى الروح من عندك .

هل أخطيء وأقول لك يارب ، إننى بذراعى البشرى و بإرادتى المنحلة ، سأتحول إلى إنسان روحى ... ! كلا ، إنما أنا بقوتك ، و بركتك ، ونعمتك ، وروحك القدوس ، سأصير فى الصورة التى تريدها لى ، بقيادتك أنت : تمسك يدى ، وتقودنى خطوة خطوة ، كما تقود طفلاً صغيراً يتعلم المشى ...

أريدكم أن تصلوا هكذا ، وتأخذوا من الرب .

وإنصتوا فى صلواتكم إلى صوت الله ، يتكلم فى قلوبكم .

كما قال داود فى مزموره « إنى أسمع ما يتكلم به الرب الإله ، لأنه يتكلم بالسلام لشعبه ولقديسيه ، وللذين رجعوا إليه بكل قلوبهم » (مز٨٤) .

كان يبدأ المزمور بالطلب ، و يشعر بالإستجابة ، فينهيه بالشكر... يقول « يارب لا تُبكتنى بغضبك ولا تُبكتنى بسخطك » . ولكنه فى نهاية المزمور، يقول « ابعدوا عنى يا جميع فاعلى الإثم . فإن الرب قد سمع صوت بكائى . الرب سمع تضرعى . الرب لصلاتى قبل » (مز٦) .

هذه [illegible] ، هى التى تشعر بها أن الحاجز المتوسط ، الذى بينك وبين الله قد زال ...

وتشعر أن ملائكة صاعدون على السلم الإلهى بصلاتك ، ونازلون ومعهم ما تطلب (تك٢٨ : ١٢) .

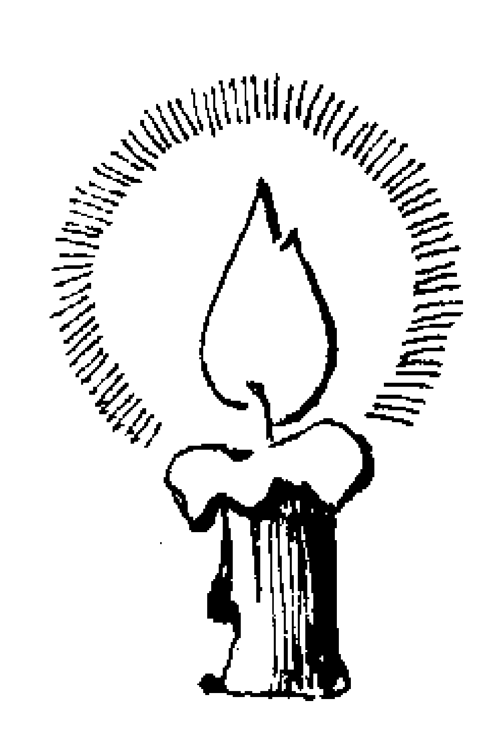
تشعر بيد الله تمتد ، لتمسح كل دمعة من عينيك . وتتحقق فيك طلبة داود النبى فى المزمور الكبير « لتدخل طلبتى إلى حضرتك » (مز ١١٩) . وهكذا تشعر أن واحداً من الأربعة والعشرين كاهناً ، قد

أخذ صلاتك ، ووضعها فى مجمرته الذهبية ، وأصعدها بخوراً زكياً إلى عرش الله (رؤ ٥ : ٨) .

تشعر أن واحداً من السارافيم ، قد أخذ جمرة من على المذبح ، ومسح بها شفتيك ، وقال لك : قد إنتزع إثمك . (أش ٦ : ٦،٧) .

نعم بمثل هذه الصلاة ، يمكنك أن ترجع إلى الله ...

فلنصرخ إذن إليه ونقول « أرددنا يا إله خلاصنا » (مز ٨٥ : ٤) . « أردد سبينا مثل السيول فى الجنوب » ... حينئذ « يمتلىء فمنا فرحاً ولساننا تهليلاً » ونقول : « عظّم الرب الصنيع معنا فصرنا فرحين » (مز ١٢٦ : ٤ ، ٢ ، ٣) .



* الضيقة سبب للرجوع إلى الله :

ليست كل الضيقات التي تصيبنا من نوع واحد :

فهناك ضيقات تصيب الإنسان ، كصليب يحمله لأجل الله ، و ينال إكليله ، كما حدث للرسل ورجال الإيمان (عب ١١: ٣٦، ٣٧) .

وضيقات أخرى تكون لإختبار الإيمان ، أو لتعلمنا الصلاة (يع ٥: ١٣) . أو لنقدم بها مثالاً للصبر كما حدث لأيوب (يع ٥: ١١) .

وهناك ضيقات هدفها أن يشعر الإنسان بضعفه ، فيتضع كما حدث للقديس بولس « لئلا يرتفع من فرط الإعلانات » (٢ كو ١٢ : ٧) .

وهناك ضيقات أخرى تأتي من تخلي النعمة بسبب خطايانا ...

وعن هذا النوع أود أن أكلمكم اليوم ...(*)

(*) ألقيت هذه المحاضرة في الكاتدرائية مساء الجمعة ١٩/٨/١٩٧٧م .

وهذه الضيقات التى تأتى نتيجة للتخلى ، لا يمكن أن تزول عن طريق الذراع البشرى أو الحكمة البشرية . فهى لا تجد حلاً ، إلاَّ بوسيلة واحدة ، وهى قول الرب لنا :

« إرجعوا إلىَّ ، أرجع إليكم » (ملا ٣ : ٧) .

فإن رجع الإنسان إلى الله بالصلاة والصوم والتذلل ، وإن رجع إليه بالتوبة الصادقة . حينئذ يرجع الله إلى هذا التائب ، وتعود النعمة إليه كما كانت فى القديم ، وتنتهى فترة التخلى ، فتنتهى الضيقة تبعاً لذلك ، إذ قد زالت أسبابها .

وما أكثر الأمثلة التى توضح ذلك ، فى سفر القضاة ...

يقول الكتاب « وفعل بنو إسرائيل الشر فى عينى الرب ، وعبدوا البعليم . وتركوا إله آبائهم ... وساروا وراء آلهة أخرى من آلهة الشعوب الذين حولهم ، وسجدوا لها ... تركوا الرب ، وعبدوا البعل وعشتاروت . فحمى غضب الرب على إسرائيل ، فدفعهم بأيدى ناهبين نهبوهم ، وباعهم بيد أعدائهم حولهم . ولم يقدروا على الوقوف أمام أعدائهم ... » (قض ٢ : ١١ - ١٤) .

لم يقدروا على الوقوف ، لأن يد الرب لم تعد معهم ...

لما كانت يد الرب معهم ، شق لهم البحر الأحمر ، وأغرق فرعون وجنوده . وفجّر لهم من الصخرة ماء . وضرب عوج ملك بشان ، وسيعون ملك الأمور يين ، وللك شعوب الأرض ...

وفى هذه المرة ، دفعهم إلى أيدى أعدائهم ، فلم يقدروا عليهم . و وقف أمامهم قول الرب : « إرجعوا إلىّ ، أرجع إليكم » .

وكانوا حينما يصرخون إلى الرب ، يسمع بكاءهم ، ويخلصهم ...

وما أعمق حنو الرب ، حتى فى فترة تخليه . إذ يقول عنه الكتاب إنه عاد « وخلصهم من أيدى أعدائهم ... لأن الرب ندم من أجل أنينهم بسبب مضايقيهم وزاحميهم » (قض ٢ : ١٨) .

إذن فى كل ضيقاتك ، لا تقل : ماذا أفعل بأعدائى الذين قدروا علىّ ؟ إنما قل : هل يد الله معى أم لا ؟

هل أنا تركت الله ، فتركتنى نعمته ، كما كانت معى فى القديم ؟ وإنصت إلى قول الرب « إرجعوا إلىّ ، أرجع إليكم » . و بسرعة إرجع إلى الرب ، تجد المعونة الإلهية قد رجعت إليك ، وجعلتك - كما حدث لأرميا - « مدينة محصنة ، وعمود حديد ، وأسوار نحاس ... فيحار بونك ، ولا يقدرون عليك . لأنى أنا معك - يقول الرب - لأنقذك » (أر ١ : ١٨ ، ١٩) .

والقصة فى سفر القضاة تتكرر ...

أخطأ الشعب وفعلوا الشر ، وعبدوا البعليم ، فباعهم الرب بيد كوشان ملك آرام (قض٣ : ٨) فصرخوا إلى الرب ، فأقام لهم مخلصاً فخلصهم . كان عليه روح الرب . ودفع الرب ليده كوشان ... « وإستراحت الأرض أربعين سنة » (قض٣ : ٩ : ١١) .

فى كل مرة كانت تشتد عليهم الضيقة ، كانوا يرجعون إلى الله ، فيرجع ويخلصهم . ثم يرجعون إلى خطاياهم وإلى عبادة الأصنام ، فتعود ضيقاتهم . و يصرخون إلى الرب فيرجع ويخلصهم .

ونسير مع التاريخ ، فنسمع عن السبي إلى بابل وأشور...

كان أيضاً بسبب الشر وعبادة الأصنام . و بكى أولاد الله على أنهار بابل ، وعلقوا قيثاراتهم على أشجار الصفصاف (مز١٣٧) . وفيما هم مسبيون ، كانت ترن فى آذانهم عبارة « إرجعوا إلىَّ ، فأرجع إليكم » . وظهر فى السبي قديسون مثل دانيال النبي ، والثلاثة فتية ، وحزقيال النبي . وظهر رجال إيمان لهم غيرة مقدسة مثل نحميا وعزرا وزربابل ...

ورجع الرب عن حمو غضبه ، ورد سبي شعبه ...

وكيف رجع الرب إليهم ؟ رجع بدموع نحميا وعزرا ...

لما سمع نحميا أن سور أورشليم منهدم ، وأبوابها محروقة بالنار، إلتهب قلبه ، وقال « جلست و بكيت ، ونحت أياماً وصليت ... وقلت أيها الرب ... أنا و بيت أبي قد أخطأنا ، وقد أفسدنا أمامك ... يا سيد ، لتكن أذنك مصغية إلى صلاة عبدك ... » (نح ١ : ٣-١١) .

ورجع الرب . وأعطى نعمة لنحميا فى عينى كورش ملك فارس . وإستطاع أن يبنى أسوار أورشليم .

وعزرا : بكى بسبب أخطاء الشعب ، ومزق ثيابه ...

وفى وقت تقدمة المساء ،قام من تذلله ، وجثا على ركبتيه فى ثيابه الممزقة ، و بسط يديه إلى الرب وقال :

اللهم إنى أخجل وأخزى من أن أرفع يا إلهى وجهى نحوك . لأن ذنوبنا قد كثرت فوق رؤوسنا ، وآثامنا تعاظمت إلى السماء ... قد جاز يتنا يا إلهنا أقل من آثامنا ، وأعطيتنا نجاة كهذه . أفنعود ونتعدى وصاياك ؟! ... أيها الرب ... أنت بار، لأننا بقينا ناجين إلى هذا اليوم » (عز ٩ : ٣-١٥) .

وصام عزرا وصام الشعب معه (عز ٨ : ٢١) . و بكى ، وأبكى الشعب معه بكاء عظيماً (عز ١٠ : ١) . وسمع الرب وعاد إلى شعبه .

وإستطاع عزرا بصومه وصلاته وبكائه ، أن يرجع الشعب كله إلى الله ، ويرجع الله إلى الشعب .

فى القصص السابقة ، خطية الشعب كله أغضبت الله ، فتخلى عنهم . وصلاة وبكاء إنسان واحد ، أرجعت الله إلى شعبه ...

وقد تكون خطية إنسان واحد هى سبب الضيقة كلها ، مثل خطية عخان بن كرمى (يش ٧) . ومثل هروب يونان من الله (يون ١) .

إذن إرجع إلى الله ، ليس من أجل نفسك فقط ، إنما أيضاً من أجل كل المحيطين بك ...

وفى كل تعب يحيط بك وبهم ، فكر أن ترجع إلى الله ...

لا تفكر فى الأناس المتعبين المحيطين بك ، إنما فكر فى نفسك أنت ، فى علاقتك بالله ، فى رجوعك إليه ...

وثق أن أقسى الأعداء وأشدهم بطشاً ، لا يحتملون عيناً طاهرة ، مبللة بالدموع ، مرتفعة إلى الله ... ولا يحتملون قلباً نقياً يتكلم مع الله ، ولا أيادى طاهرة مبسوطة أمامه ...

إن علاقاتنا مع الناس ، مجرد علاقات جانبية سطحية ...

المهم كله هو فى علاقتنا مع الله . أما علاقاتنا مع الناس ، فهى مجرد نتيجة لعلاقتنا مع الله ... تتغير ، بتغير العلاقة معه ...

أيـوب الـصديق أخذ السبئيون بقره وأتنه ، وأخذ الكلدانيون جماله (أى ١ : ١٤- ١٧) فـلـم يـقل أنهم أخذوها ، إنما قال « الرب أخذ » (أى ١ : ٢١) . إرجع إذن إلى الله ، فيرد لك كل شىء ...

إن رجعت إلى الله ، لا يقوى عليك الشر ، ولا الأشرار .

لـيس فقط لا يقوى عليك أعداؤك الذين يتهللون إن أنت سقطت (مـز١٢) . وإنـمـا حتى الـشـياطين لا يقدرون عليك ، مهما أحاطوا بك مـثل النحل حول الشهد والتهبوا كنار فى شوك (مز ١١٧) . فكما قال داود « مـراراً كـثـيـرة حـار بونى منذ صباى ... مراراً كثيرة قاتلونى منذ شبابى ... وإنهم لم يقدروا علىَّ » (مز١٢٩) .

ولا خطية ولا شهوة ، تقدر عليك ...

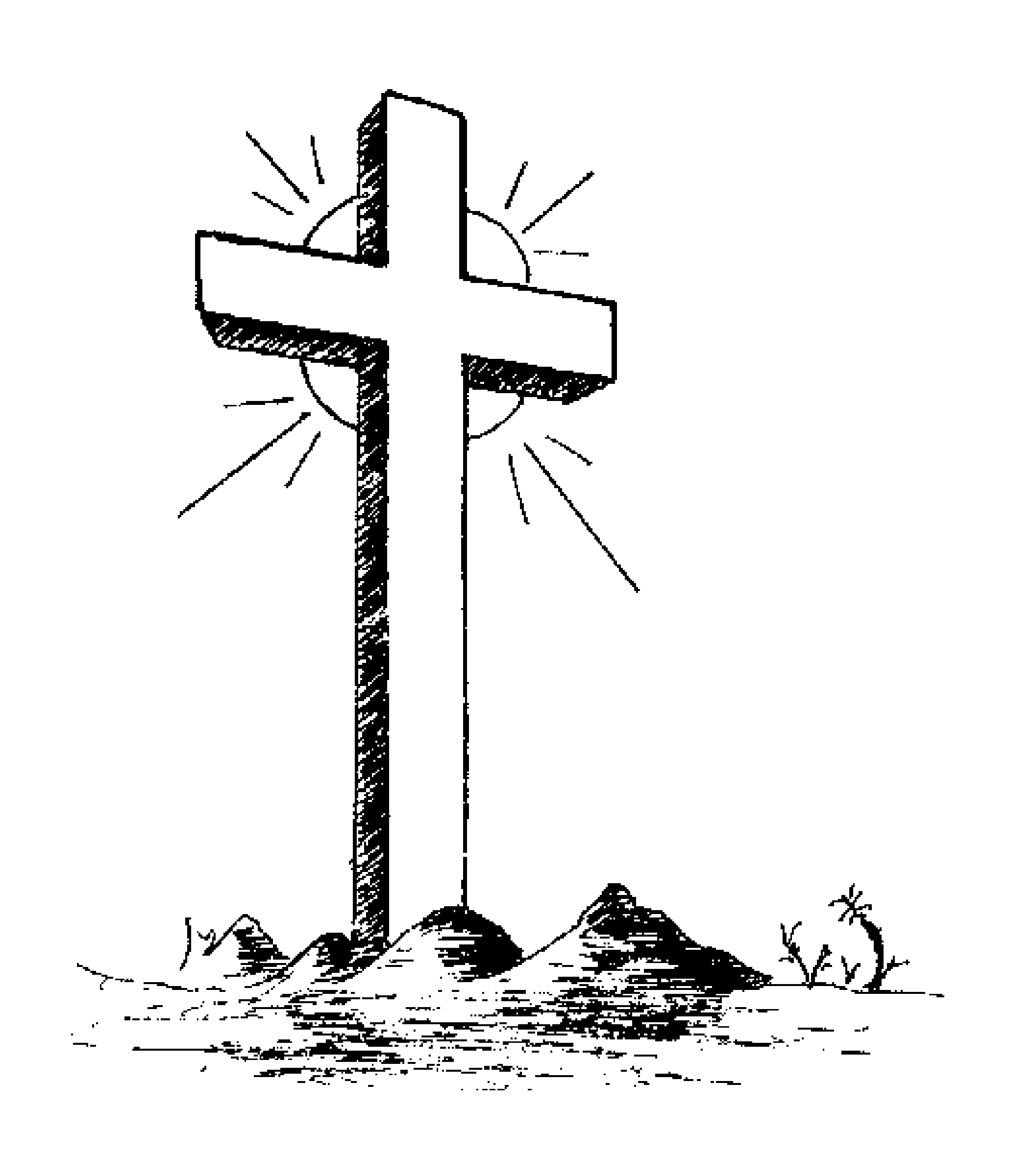
لأن الـرب مـعـك . يـعـطـيك القوة والمعونة ، و يقودك فى موكب نـصرتـه (٢ كـو ٢ : ١٤) . أمـا إن تخلت عنك النعمة ، فإن أقل فكر يـقـدر عـليك ، وتضعف مقاومتك . حينئذ تسمع قول الرب فى أذنيك « إرجعوا إلىَّ ، أرجع إليكم » لذلك ارفع قلبك إلى الله ، وإرجع إليه ، لترجع إليك القوة .

ما معنى عبارة « أرجع إليكم » ؟

معناها : أرجع إليكم بكل قوتي ومعونتي . وأرجع إليكم بكل حبي . ونعود كما كنا . كأن خطاياكم لم تكن « لا أعود أذكرها بعد » (أر ٣١ : ٣٤) وباختصار :

أرجع إليكم أي أصطلح معكم ...

فلنتحدث إذن عن الصلح مع الله ...



الصُلح مَع اللّه

" نسعى كسفراء عن المسيح
كأن الله يعظ بنا
نطلب عن المسيح :
تصالحوا مع الله "
(٢كو ٥ : ٢٠)

الخطية خصومة مع اللـه

الخطية توجد خصومة مع الله :

فالإنسان الخاطيء هو إنسان يقاوم الله : يتحداه و يكسر وصاياه . و يترك مشيئة الله ، لينفذ مشيئته الخاصة ، مستقلاً عن الله ، منفصلاً عنه . يحب الخطية أكثر منه ، مهما إدّعى بلسانه أنه يحب الله !

الخاطيء يهرب من الله . لا يحب الحديث معه . وإن وقف يصلى ، ينطبق عليه قول الرب « هذا الشعب يكرمنى بشفتيه . أما قلبه فمبتعد عنى بعيداً » (مر ٧ : ٦) . وهكذا تكون صلاته ، بغير حب ، بغير عاطفة ، بغير روح ، ربما لمجرد تأدية واجب ، أو للرضى عن النفس .

الخاطيء لا يتحدث كثيراً عن الله . ولا يشعر بدالة معه . هو غريب عنه . وقد أوجدت الخطية حاجزاً متوسطاً ، بينه و بين الله ...

وقد تتطور الخطية من مستوى الخصومة ، إلى العداوة .

وفى ذلك يقول القديس يعقوب الرسول إن « محبة العالم عداوة لله » (يع ٤ : ٤) . و يقول القديس يوحنا الإنجيلى « إن أحب أحد

العالم ، فليست فيه محبة الآب » (١يو ٢ : ١٥) .

ولأن الخطية خصومة مع الله ، نبدأ قداساتنا بصلاة الصلح ...

فقبل أن نرفع الإبرسفارين ، لنصلى قداس القديسين ، نصلى صلاة الصلح ، لأنه ينبغى أن نصطلح مع الله والناس أولاً ، قبل أن نصلى ، وقبل أن نتقدم إلى السرائر المقدسة .

وهكذا نخاطب الله الإبن فى القداس الغريغورى قائلين « صرت لنا وسيطاً لدى الآب . والحاجز المتوسط نقضته . والعداوة القديمة هدمتها . وصالحت الأرضين مع السمائيين » ...

إن أبشع ما فى الخطية ، كونها موجهة ضد الله نفسه :

وقد كان داود النبى يدرك هذه الحقيقة جيداً ، لذلك قال للرب فى مزمور توبته (مز ٥٠) :

« لك وحدك أخطأتُ ، والشر قدامك صنعتُ » ...

لا شك أن داود كان قد أخطأ إلى اوريا الحثى ، وإلى بثشبع زوجة أوريا . كما أنه أخطأ إلى نفسه ، إلى عفته وطهارته ، وإلى أبديته ... ومع ذلك فإن كل ذلك لم يكن هو الشيء الرئيسى أمام

عينيه ، فقال للرب : « لك وحدك أخطأت » ... ذلك لأن الخطية هي في أصلها ضد الله ، ضد وصاياه ، وضد محبته ... ونتيجة لذلك ضد الآخرين .

و يوسف الصديق ، أدرك نفس هذه الحقيقة ، فقال كذلك :

كيف أصنع هذا الشر العظيم ، وأخطىء إلى الله ؟!

ولم يقل : أخطىء إلى فوطيفار ، أو إلى زوجة فوطيفار... إنما قال « أخطىء إلى الله » ... (تك ٣٩ : ٩) .

ذلك أن الخطية هي عصيان لله ومخالفة ، وعدم محبة له ، وطرد له من القلب ، وتمرد عليه وإستهانة بوصاياه ...

ولهذه الأسباب كلها خاف آدم بعد سقوطه ، واختبأ من وجه الله ، لأنه عرف أنه بالخطية قد أغضب الله ...

نعم إننا بالخطية ، نُحزن روح الله القدوس (أف ٤ : ٣٠) .

النتيجة الأولى للخطية هي إغضاب الله . والثانية هلاك الإنسان ...

وللخلاص من النتيجة الأولى ، كانت تُقدم المحرقات (لا ١) .

وللخلاص من النتيجة الثانية ، كانت تُقدم ذبائح الخطية والإثم (لا ٣) .

وقد جاء السيد المسيح ليُقدم بنفسه عمل هاتين الذبيحتين : فيصالح قلب الآب الغاضب ، كذبيحة محرقة . ويخلص الإنسان الهالك ، كذبيحة خطية .

ولعل مما يؤلم قلب الإنسان جداً ، ليس فقط إنه أخطأ إلى الله وإنما بالأكثر أنه دخل فى خصومة مع الله . وأصبح الله غير راضٍ عنه ...

ذبيحة المحرقة ، كانت لمصالحة الله ، لإرضاء قلبه الغاضب ...

لذلك كانت أولى الذبائح فى شريعة موسى . وقد ذُكرت فى الأصحاح الأول من سفر اللاويين . وقيل إن مقدمها يقدمها « للرضا عنه أمام الرب ». (لا ١ : ٣) . وثلاث مرات قيل عنها فى نفس الأصحاح إنها « رائحة سرور الرب » (لا ١ : ٩ ، ١٣ ، ١٧) .

ولأن الغرض منها كان محدداً فى هذه النقطة وحدها ، وهى إرضاء الله ، وإيفاء عدله . وليس غرضها خلاص الإنسان (الذى تمثله ذبيحة الخطية) ، لذلك لم يكن أحد يأكل منها ، كما كان يفعل فى ذبيحة الخطية . وإنما كانت تأكلها النار كلها ، حتى تتحول إلى رماد (لا٥ : ٨ : ١٣) . والنار تمثل العدل الإلهى .

وكأن مقدم المحرقة يقول للرب أثناء تقديمها :

ليس ما يهمنى الآن هو خلاصى ، إنما يهمنى رضاك ...

من أنا ـ التراب الرماد ـ حتى أقدم أولى الذبائح عن نفسى ؟!
ـلص أو لا أخلص ، ليس هذا هو الأمر الذى نضعه فى الدرجة
أولى ... إنما قبل كل شىء ، قلبك أنت يارب ، يكون راضياً عنى .
فعل بى بعد ذلك ما تشاء . أنا أخطأت إليك . وأريد أن أصالحك .
بعد أن أصالحك يأتى طلب المغفرة . ومن غير أن أطلب ، أنت
تغفر .

إنه شعور الإبن ، الذى يهمه قبل كل شىء إرضاء أبيه .
وليس شعور العبد ، الذى كل إهتمامه فى التخلص من عقوبة ...

فهل لديك هذا الحرص على إرضاء أبيك السماوى ومصالحته ؟
وهل تسعى لتصطلح مع الله ، أم تفعل مثلما فعل آدم إذ هرب من
له واختبأ منه ... ؟! أم أنت تقول كما قال أيوب الصديق « ليس
ننا مصالح ، يضع يده على كلينا » (أى ٩ : ٣٣) .
هل تشعر أن الخطية قد أبعدتك عن الله ، واوجدت خصومة بينك
بينه ؟
إنى أقول لك ما هو أكثر :

الخطيــة خيانة للـــه

إن الخطـيـة عموماً هى خيانة . والإنسان الخاطىء يخون محبة الله السـعـطـوف ، الـذى أحـبـنـا حتى المنتهى (يو١٣ : ١) . وغـمـرنـا بإحساناته .

الله الـذى إعـتـبـرنـا أولاداً ، وصـار أباً لنا : إذا ما أخطأنا إليه ، نـكـون خـائـنين لأبـوته . كما أننا فى الخطية نكون خائنين للعهود التى عـاهـدنا بها الله فى معموديتنا ، وفى أوقات التناول ، وفى الأوقات التى أنقذنا منها .

إننا نخون الله ، لأننا ـ نحن أولاده وخاصته ـ ننضم إلى أعدائه الشياطين ، وننكره مقابل شهواتنا ...

لهـذا فـإن الله يطلب إلينا أن نكون أمناء ... قائلاً لكل منا « كن أميـنـاً إلى المـوت ... » (رؤ٢ : ١٠) . ولـكـنـنـا فى الخطية نخون هذه الأمـانـة . ولا تـكـون قـلـوبـنـا ثابتة فى محبة الله ، بل هى تهتز مع كل هوى ، ومع كل رغبة . وليس لها الحب الأمين الثابت .

إن كانت مقاومات الأعداء ، تعتبر عداوة وليس خيانة ...

فإن تعديات الأبناء والمحبين ، تعتبر بلا شك خيانة ...

ونحن أبناء الله ، دُعي إسمه علينا ، كيف نقاومه ، وننضم إلى أعدائه ؟ ونبيع أنفسنا التي أشتراها بدمه ونطرد روحه القدوس من قلوبنا ؟ ... ألا تعتبر كل هذه خيانة ؟!

ربما كان هناك عذر للذين لم يعرفوا الله من قبل . أما الذين عرفوه ، وعاشروه ، وذاقوه ، وأنعم عليهم بأسراره المقدسة . ثم بعد ذلك رفعوا عقبهم عليه ... كيف لا يكونون خائنين لعشرته ومحبته ؟

والله نفسه ، سمى هذا الإرتداد عنه خيانه ...

فقال : « خيانة خانني بيت إسرائيل و بيت يهوذا » (أر ٥ : ١١) .

سرقة عخان بن كرمي ، أُعتبرت خيانة للرب (يش ٧ : ١) .

وتزوج الشعب من نساء أجنبيات ، سُمي خيانة أيضاً (عز ١٠ : ٢) .

وقال الكتاب إن شاول الملك « مات بخيانته التي بها خان الرب . من أجل كلام الرب الذي لم يحفظه . وأيضاً لأجل طلبه إلى الجان » (١ أي ١٠ : ١٣) .

وأعتبر تقصير الكهنة واللاويين في خدمة بيت الرب خيانة . ولذلك قال حزقيا الملك الصالح « لأن آباءنا خانوا ، وعملوا الشر في عيني الرب إلهنا وتركوه ، وحولوا وجوههم عن مسكن الرب ... وأطفأوا السرج ، ولم يوقدوا بخوراً . ولم يصعدوا محرقة ... » (٢أى ٢٩ : ٦، ٧) .

مادامت الخطية خصومة وخيانة ، إذن ينبغي التصالح مع الله .

يرجع القلب إليه ، و يعترف بخيانته . و ينسحق و يتذلل قدامه . لكى يغفر وتبدأ علاقة جديدة بقلب جديد ، آمين ...

والمقصود أن يكون صلحاً دائماً لا رجوع فيه . لأنك إن صالحت أحداً ، وإبتسمت في وجهه ، ورجعت في باكر أغضبته وأهنته ، لا يكون هذا صلحاً ... فالصلح هو رجوع المحبة الحقيقية الثابتة ...

إن تاريخ الخطية ، ينتهى بالصلح مع الله ...

على أن العجيب ، هو أن الله ، الذى جحدناه نحن ، هو الذى يسعى إلى هذا الصلح ، بكل الوسائل ...

الله يصالحنا

كل الأنبياء والرسل الذين أرسلهم الله إلى العالم . ماذا كان عملهم سوى : إقامة صلح بين الله والناس ...

أنظروا إلى القديس بولس الرسول ، إذ يقول :

« نسعى كسفراء للمسيح ، كأن الله يعظ بنا ...

« نطلب عن المسيح : تصالحوا مع الله » (٢ كو ٥ : ٢٠) .

إذن فالسيد المسيح ، هو الذى يرسل هؤلاء السفراء إلينا ، طالباً منا أن نصطلح معه ... ما أعجب هذا الحب !

ربما يكون من الصعب عليك أن تذهب إلى شخص لتصطلح معه ، وأنت لا تعرف هل يقبل منك الصلح أم لا . أما هنا ، فإن الله هو الذى يريد الصلح ، و يطلبه ، و يرسل من أجله رسلاً ، و يعمل فيه بنعمته و بروحه القدوس ... و يقول للبشرية « هلمّ نتحاجج ... » (أش ١ : ١٨) . وليس هذا فقط ، بل يسعى حتى لمصالحة المعاندين والمقاومين . و يقول :

« مددت يدى طول النهار ، لشعب معاند ومقاوم » (رو ١٠ : ٢١) .

تصور إن الله يمد يده طول النهار طالباً مصالحة هؤلاء المعاندين . وعبارة (طول النهار) تعنى طول أناته ، وطول إنتظاره ، فهو لا يمل من السعى لمصالحة الخطاة ... هو الذى ينظر إلى قلبك و يقول : « ها هو موضع راحتى إلى أبد الأبد . ههنا أسكن لأنى أشتهيته » (مز ١٣٢ : ١٤) .

وهو الذى يقول لنفسك العزيزة عليه « إسمعى يا إبنتى وأنظرى ، وأميلى سمعك . وإنسى شعبك و بيت أبيكِ . فإن الرب قد إشتهى حسنك . لأنه ربكِ ، وله تسجدين » (مز ٤٥ : ١٠ ، ١١) .

بل أن مصالحة الرب للبشر ، هى سبب التجسد الإلهى ...

وفى ذلك يقول القديس يعقوب السروجى : [كانت هناك مخاصمة بين الله والإنسان . ولما لم يستطع الإنسان أن يقوم بالمصالحة ، نزل الله إلى الإنسان لكى يصالحه] .

ومصالحة البشر مع الله ، هى هدف الفداء أيضاً ...

لقد كان دم السيد المسيح ، هو ثمن هذا الصلح . وفى ذلك يقول الرسول : « عاملاً الصلح بدم صليبه » (٢ كو ١ : ٢٠) . فأنظر ما أغلى ثمن مصالحتك ، وما أغلى نفسك عند الله . فإننا « نحن قد صُولحنا مع الله بموت إبنه » (رو ٥ : ١٠) . « أى أن الله فى المسيح

ن مصالحاً العالم لنفسه ، غير حاسب لهم خطاياهم » (٢ كو ٥ :
) .

وماذا فعل المسيح فى هذه المصالحة ؟ يقول الرسول : « لأنه هو
لامنا . الذى جعل الإثنين واحداً ، ونقض حائط السياج المتوسط
العداوة » (أف ٢ : ١٤ ، ١٥) . « بالصليب قاتلاً العداوة به »
ف ٢ : ١٦) .

المسيح صالحنا مع الآب ، وأزال العداوة ، وأزال الحاجز
وسط .

ولكننا مازلنا نخطىء . ونحتاج فى كل يوم إلى مصالحة .
ولذلك كانت (خدمة المصالحة) هى عمل الرسل ورتب كهنوت ...

وفى ذلك يقول القديس بولس الرسول « وأعطانا خدمة
مصالحة » « واضعاً فينا كلمة المصالحة » « نطلب عن المسيح :
صالحوا مع الله » (٢ كو ٥ : ١٨ ، ١٩ ، ٢٠) .

كل عمل الرعاة والكهنة والوعاظ والمعلمين هو « خدمة
لمصالحة » ، متابعة الصلح بين الله والناس ... وهذا هو عمل غالبية
لأسرار المقدسة .

إن الله يريد أن يصطلح معك بكل الوسائل الممكنة .

يقول لك : كفى فترة الخصومة التى مضت ، ولنبدأ علاقة جديدة . فمهما هربتم منى ، وذهبتم إلى كورة بعيدة ، أو إختبأتم وراء الشجر ، أو بعد قلبكم عنى ، سأرسل لكم الرسل والأنبياء لأجل مصالحتكم ، وأرسل لكم الخدام ... وأرسل نعمتى ، وأعدّ الوسائط الروحية ، وأمهد الفرص ...

وماذا أيضاً ؟

الله مستعد أن يرسل الضيقات أيضاً لأجل مصالحتنا ...

سواء أكانت هذه الضيقات لنا ، أو لبعض أحبائنا ...

ربما إنسان لا يأتى بالحب ، ولكن يأتى بالضرب ، مثل أخوة يوسف الذين قادتهم الضيقة إلى الصلح (تك ٤٤)

والرب يقول « ادعنى وقت الضيق ، أنقذك فتمجدنى » (مز ٥٠ : ١٥) . تضغط عليك الضيقات ، فلا تجد سوى الله ، القلب الحنون الذى يشفق عليك ، فتصطلح معه ، ذاكراً حبه .

إن كل ضيقة تهمس فى أذنك : إصطلح مع الله .

أذكر أيضاً أن الله يصالحك ، من أجل صالحك ...

وهو أيضاً يصالحك ليُصلحك ، لينقيك و يطهرك و يقدسك . لأنه

من فرط محبته لك ، لا يتركك لكى تضيع و يفترسك عدو الخير . يخشى عليك أن تهلك لما تبعد عنه ، وتتغير مبادئك ومثالياتك ، وتصبح كأهل العالم مادياً وجسدانياً . لذلك هويُصالح ليخلص نفسك . وخسارة كبيرة لك ، أن تفقد هذه الفرصة ولا تصبطلح مع الله ...

عظيمة هى الفوائد التى تحصل عليها من هذا الصلح ...

فى الصلح تجد المغفرة وتجد الخلاص ، و يغسلك الرب فتبيض أكثر من الثلج (مز ٥٠) . يمحوإثمك ، ولا يذكر لك خطاياك القديمة (أر٣١: ٣٤) . وفى الصلح تحصل على سلام داخلى ، فتصطلح معك نفسك أيضاً ، ولا يعود يوجد صراع فى داخلك .

وبالصلح تعود إلى رعوية الله ، ولا تصبح غريباً على بيته ولا على ملكوته ، بل تصبح من أهل بيت الله (أف ٢ : ١٩) . و بالصلح تكسب أبديتك لأنه كما يقول الرب (مر٨: ٣٦) :

« ماذا ينتفع الإنسان ، لوربح العالم كله وخسر نفسه ...

فإن كنت أحياناً تبذل جهداً لتصطلح مع أشخاص لك بهم علاقة مؤقتة على الأرض ، فكم بالأولى يكون إهتمامك بصلحك مع الله الذى لك به علاقة أبدية لا تنتهى ؟! ... أعرف إذن أهمية الله بالنسبة إليك ، وأهمية الصلح معه ...

حقاً ، كم بذل الرب فى مصالحة هذا التراب والرماد ، ولكن :

هل يوافق هذا التراب والرماد على مصالحة خالقه ؟

أخشى أن ينطبق علينا قول الرب لأورشليم وأهلها « كم مرة أردتُ ... ولم تريدوا » (مت ٢٣ : ٣٧) . إن الرب واقف على الباب ، ولكننا لا نفتح له ... فكيف يتم الصلح إذن ؟ وما هى العوائق التى تعطل البعض عن الإستجابة ؟ وما الحل ؟

كيف يكون الصلح

الشرط الأول ، الذى بدونه لا يتم الصلح ، هو :

١ ـ أن تكون لك رغبة صادقة فى الصلح مع الله ...

كل ما تفعله وسائط النعمة والمؤثرات الروحية ، وكل ما يفعله المرشدون الروحيون ، هو أن تدخل هذه الرغبة إلى قلبك . فتقول فى صدق « أريد يارب أن أصطلح معك » ... وإن كانت رغبتك صادقة ، ومن عمق القلب ، فستجد بلا شك الوسيلة التى توصلك إلى الله ... الله نفسه سيوصلك إليه ...

٢ ـ إذن ترغب ، وتبدأ التنفيذ ، إن كنت جاداً في رغبتك ...

لأن هناك من يقول إنه يريد الله . وألف صوت في قلبه يصيح « أريد الخطية » . الرغبة في الصلح مع الله ، هي رغبة على شفتيه فقط ، ولكنها ليست في قلبه . يقول : « أريد » ، وفي أعماقه لا يريد ، لأن الصلح مع الله ، سيحرمه من أشياء كثيرة يحبها ، وسيجعله يدخل من الباب الضيق وهو لا يرغب في ذلك ...

ولعل السبب في ذلك ، خطية محبوبة ، داخل القلب ، أو عادة مسيطرة ، أو طبع ثابت ... والإرادة عاجزة عن العلاج ...

ربما الذي يجعلك عاجزاً عن الصلح مع الله ، أن حالتك تشبه ما وصفه معلمنا بولس الرسول في (رو٧: ١٨) :

« الإرادة حاضرة عندي . أما أن أفعل الحسنى فلست أجد » ...

« لست أفعل الصالح الذي أريده . بل الشر الذي لست أريده ، إياه أفعل » « ... لست بعد أفعله أنا ، بل الخطية الساكنة فيّ » (رو٧: ٢٠) . فإن كنت هكذا يا أخي ...

٣ ـ نصيحتي لك : جاهد مع الله ، لكي يغير قلبك .

قل له : خلّصني يارب من قلبي ومن خطيئتي ، ومن طباعي ، فلا يكن ذلك عائقاً أمام الصلح معك . أنت غيرت قلوب كثيرين ، ربما كانت حالتهم أسوأ مني بمراحل . ليتني أكون كواحد منهم . أنت يارب غيرت قلب موسى الأسود ، وأوغسطينوس ، ومريم القبطية ، وأريانوس والى أنصنا ... فهل تعصى عليك حالتي ؟!

أعتبرني حالة معقدة ، ولكنها ليست صعبة أمام قدرتك اللانهائية .

أنا يارب لا أستطيع أن أُصلح قلبي أولاً ، لكي أصطلح معك . وإنما أنت الذي تصلح هذا القلب ، وتضع فيه المشاعر المقدسة اللائقة بهذا الصلح ...

أتقول يا إبني أعطني قلبك (أم ٢٣ : ٢٦) . خذه كما هو...

أنضح عليه بزوفاك فيطهر . وإغسله فيبيض أكثر من الثلج (مز ٥٠) . لست أطلب أن ترمم هذا القلب . إنما إخلق فيَّ قلباً نقياً (مز ٥٠) . وأعطني روحاً جديداً (حز٣٦: ٢٦) .

إن لم يكن في قلبي حب لك ، فأعطني هذا الحب ...

لا تلمنى على عدم محبتى ، إنما « اسكب فىَّ هذا الحب من الروح القدس » حسب قول رسولك (رو ٥ : ٥) .

أعتبرنى كطفل صغير ، يريد ولا يعرف ، و يريد ولا يقدر ، « وقوّم خطواتى » (مز ١١٩) . فكثيراً ما أعثر...

إن كنت أنا لست جاداً فيما يتعلق بخلاص نفسى ... يكفى أنك يارب جاد فى تخليص هذه النفس ...

إن كان خلاص نفسى لا تقوى عليه إرادتى ... فلا شك أن نعمتك تقوى وتقدر...

إن كنت أنا بفساد طبيعتى ، لا أريد الحياة معك ... يكفى أنك تريد أن أحيا معك . وإرادتك تفعل كل شىء ...

إن تركتنى يارب إلى إرادتى وإلى ضعفى ، فسوف أضيع . اعتبرنى مريضاً لا يقوى على شفاء نفسه ، ولا يقوى على الذهاب إلى الطبيب . وقل كلمة فيبرأ الغلام (مت٨ : ٨) .

هكذا قدّم للرب صلاة من كل قلبك . لأنه إن كان جهادك لا يقدر ، فإن الصلاة تقتدر كثيراً فى فعلها (يع ٥ : ١٦) .

وفى صلحك مع الله ، لا تعتمد كثيرا على عقلك ، ولا على ذراعك البشرى . «على فهمك لا تعتمد» (أم٣ : ٥) . إنما خذ من الله القوة التى تسند ضعفك...

الله يريد منك القلب والإرادة والإيمان ...

والإرادة ليس المقصود بها القوة والعزيمة ، وإنما الرغبة ... فقد يكون الإنسان ضعيفاً ، ويمنحه الله القوة ليعمل ، بل الله نفسه يعمل فيه ، ويعمل معه . وكما قال القديس بولس الرسول « لأن الله هو العامل فيكم أن تريدوا وأن تعملوا » (فى ٢ : ١٣) .

الله يريد رغبتك ، لأنه لا يرغم أحداً على مصالحته .

فإن قدمت هذه الرغبة سيعمل هو معك . ولا أقول يعمل وحده ، لئلا يدفع هذا إلى التراخى . كما أن عملك معه يدل على جدية رغبتك فى مصالحته ...

قلنا إنه ينبغى أن تكون لك رغبة صادقة فى الصلح ...
وأن تنفذ مادمت جاداً فى رغبتك ...
وأن تصلى طالباً المعونة ، فيما تعترضك من عقبات ...
وماذا أيضاً ؟

٤ ـ ابعد عن كل ما يغضب الله فى المستقبل ...

لئلا تصيبك نكسة فى الصلح ، فترجع كما كنت ...

إن صالحت الله ، فلا تعد وتنضم إلى أعدائه . بل ابعد عن كل مجالات الخطية ... لأنه كثيراً ما يشتاق القلب إلى الله ، ثم يبرد

إشتياقه بتأثير آخر مضاد . فالإنسان سريع التأثر ، وما أسهل أن تتقلب الطبيعة من الضد إلى الضد ، إن كانت لم تثبت بعد فى الله ثباتاً كاملاً ...

واعلم أن الصلح مع الله ، ليس هو مجرد كلمة « أخطأت » . فقد قالها كثيرون ولم ينتفعوا بها ...

إنما الصلح مع الله ، هو حياة تتميز بإرضاء الله .

هو سلوك عملى يسعى لإرضاء الله وكسب محبته .

وهو لا يقتصر على الناحية السلبية فقط ، أى عدم الدخول فى خصومة جديدة مع الله .

إنما من الناحية الإيجابية ، يتحول الصلح إلى حب ...

٥ - وهنا أنصحك أن تحيا فى مجال التأثير الإلهى ...

إشغل وقتك بالله ، وإشغل فكرك به . لا تكن علاقتك بالله هى علاقة يوم فى الأسبوع نسميه « يوم الرب » ، بل لتكن هى علاقة الأسبوع كله ، وعلاقة الحياة كلها .

ولا تظن أن الصلح مع الله ، هو مجرد أن تفعل البر . فحسن أن تسلك فى الفضيلة . ولكن ضع أمامك :

ان الفضيلة ليست هى الهدف . فالهدف هو الله ذاته .

الفضيلة هى مجرد وسيلة ، تعبر بها عن إلتصاقك بالله ... أما هدفك فهو هذا الإلتصاق بالله ، فى حب مستمر ...

وإن سرت فى حياة الفضيلة والبر ، فلا يكن ذلك لكى تكبر ذاتك فى عينيك ، أو فى أعين الناس ... وإنما لكى بهذا البر ترتبط بالله أكثر ، و يصبح قلبك أهلاً لسكناه . لذلك كن مدققاً جداً وحريصاً .

لا تخرج من دائرة الله ، إلى دائرة الذات ، أو إلى دائرة الفضائل .

كن مركزاً إهتمامك وسعيك كله فى الله ومحبته . فيظل قلبك حاراً على الدوام ، وتستمر علاقتك بالله قوية ...

عيب كثيرين أنهم يمارسون الفضائل ، دون أن يشعروا بوجود الله فى حياتهم وفى عواطفهم . أما أنت ، فقل له :

أريد يارب أن أشعر بك ، وتعلن لى ذاتك . أريد أن أختلى بك ، وأكلمك وأفتح لك قلبى . أريد أن أحبك أكثر من كل أحد ، وأكثر من كل شىء . وأكون مستعداً أن أخسر كل شىء وأنا أحسبه نفاية ، لكى أربحك أنت واوجد فيك (فى ٣ : ٨) .

هذه هى حرارة الصلح التى تتحول إلى حب ...

وفى هذه الحرارة تمسك بكل الوسائط الروحية التى تشعل عواطفك من نحو الله ، وتقوى علاقتك به .

٦ - إقرأ عن قديسى التوبة ، الذين إصطلحوا مع الله وأحبوه ...

وتأمل سير القديسين عموماً ، وكيف ملأ الله قلوبهم ، وكيف حرصوا على إرضائه . لأن سيرتهم تلهب فيك محبة الله ، وتبعث محبة الخير الكامنة فى قلبك . فكل إنسان مهما سقط فى الخطية ، يوجد فى أعماقه إشتياق إلى الخير ، إذ قد خلقه الله على صورته ومثاله ، والشر دخيل على الطبيعة البشرية .

وكل شر يعمله الإنسان ، يسمع صوتاً فى داخله يحتج عليه . ويأتى وقت لا يستطيع فيه إسكات هذا الصوت ...

وإذا قرأ سير القديسين ، أو رأى نموذجاً للفضيلة ، ما أسهل أن يلتهب قلبه من الداخل ، و يشعر بنقصه ، وتمتلىء عيناه بالدموع . ويعترف أن السمو الروحى هو السمو ، سواء سلك فيه أم لم يسلك .

وكل إنسان مستعبد لشهوة معينة ، لابد فى داخله إحتجاج عليها ، مهما حاول أن يتجاهل هذا الإحتجاج .

٧ ـ فى صلحك مع الله ، لا تندم على متع العالم التى تركتها من أجله . فهذه حرب من الشيطان ...

لا تكن كإمرأة لوط ، التى نظرت إلى الوراء وهى خارجة من سدوم (تك ١٩ : ٢٦) . بل أشعر بفرح أنك تخلصت من ذلك الماضى . فالخاطىء تنقص قيمته فى عينيه وفى أعين الناس ...

وإن كان الشيطان يغر ينا الآن بخطية ، فإنه سيعيرنا بها فى يوم الدين أمام الله والناس ، و يعتبرنا من جنوده لأننا إنقدنا له . و يعتبر نفسه مالكاً لكل عضو من أعضائنا خضع له . ولذلك حسناً قال الرب عنه : « رئيس هذا العالم يأتى ، وليس له فىَّ شىء » (يو١٤ : ٣٠) .

٨ ـ إن أصطلحت مع الله ، إحرص أن تستمر فى صلحك ... لذلك فكر كثيراً فى الأبدية وفى ملكوت الله ...

ليكن تفكيرك بعيد المدى ، ولا يقتصر على الأيام القليلة التى نعيشها على الأرض ، بما فيها من إرتباطات بالمادة والجسد .

وإن تعبت من أجل الله ، وفى الصلح معه حملت صليباً ، قل لنفسك إن « آلام الزمان الحاضر ، لا تقاس بالمجد العتيد أن يستعلن فينا » (رو٨ : ١٨) . ولذلك فإن الذين يعيشون فى علاقة طيبة مع

الله ، يعيشون « غير ناظرين إلى الأشياء التى تُرى ، بل إلى التى لا تُرى . لأن التى تُرى وقتية ، وأما التى لا تُرى فأبدية » (٢ كو ٤ : ١٨)

٩ - إحترس من المفاهيم الجديدة ، التى تقلب موازينك الروحية ...

التى تقول لك : « أى خطأ فى هذا ؟! » ، أو تهوّن من جسامة الأخطاء ، أو تسميها بغير أسمائها ، أو تقدم تبريرات لكل خطية . وفى ظلها لا تبدو الخطية خطية ، و يزول الحس الروحى ، ولا يشعر الإنسان أنه أغضب الله فى شىء ! ربما يظن أن الله يغضب منه بلا سبب !

وهكذا لا يجد مبرراً لطلب الصلح ، لأنه لا يشعر أنه أخطأ ! بينما من بديهيات المصالحة ، الشعور بالخطأ . ولا يتأتى هذا إلاَّ إذا تمسك الإنسان بالقيم السليمة ، المسلمة لنا مرة من القديسين ، فى أقوالهم وفى حياتهم ...

١٠ - كن سريع الإستجابة لصوت الله فى قلبك ...

إن سمعت فى داخلك صوت الله يدعوك إليه ، فلا تتجاهله ، ولا تؤجل ، لئلا تصاب بقساوة القلب ، وتفقد التأثير الروحى . وكما قال

الرسول « إن سمعتم صوته ، فلا تقسوا قلوبكم » (عب ٣) ...

١١ - من أساسيات الصلح ، أن تفضل الله على ذاتك .

إن أخطر ما يعوق الصلح ، هو أنك تفضل ما تريده أنت على ما يريده الله . ذاتك هي الصنم الذى تعبده . وطالما تُرضى ذاتك فى كل شيء ، فلا يمكن أن تصطلح مع الله . ولذلك حسناً قال السيد المسيح : « من أراد أن يأتى ورائى ، فلينكر نفسه ، ويحمل صليبه ويتبعنى » (مر٨ : ٣٤) . حتى فى الصلاة الربية التى علمنا إياها ، جعل الطلبات الخاصة بنا فى الآخر . أما الخاصة بالله فهى أولاً .

إنكارك ذاتك فى هذه الأرض ، هو كسب ذاتك فى الملكوت ...

لذلك قال لنا الرب : « من أراد أن يخلص نفسه يهلكها . ومن يهلك نفسه من أجلى يجدها » (مت١٦ : ٢٥) . وقال أيضاً « من وجد حياته يضيعها . ومن أضاع حياته من أجلى يجدها » (مت١٠ : ٣٩) .

فما الذى ضيعته أنت لأجل الرب ؟ ما الذى بذلته ؟

أتريد أن تصطلح مع الله ؟ إحفظ هذا المبدأ :

الله أولاً . والناس ثانياً . ونفسك آخر الكل ...

إصطلح مع الله ، وإصطلح مع الناس ، حينئذ ستصطلح معك نفسك ، وتصطلح معك السماء والأرض ...

١٢ - وفى صلحك مع الله ، أشعر بالتغيير فى حياتك ...

لا تعش بنفس الأسلوب ، بنفس الطباع ، بنفس التفكير . إنما إجعل مصالحتك مع الله تغير حياتك ... إلى أفضل . والشخصية التى إعتاد الشيطان أن يسيطر عليها قبلاً ، تصبح شخصية لها قوتها فى حروب الشياطين ، ولها إتضاعها فى الوقوف أمام الله ، ولها محبتها وخدمتها وإحتمالها فى معاملة الناس .

وليكن الرب معك ...

إنتظر كتاب :

حياة التوبة والنقاوة

كتاب من الحجم الكبير ، في أكثر من ٢٠٠ صفحة وهو غير سلسلة حياة التوبة التي صدر منها :

(١) اليقظة الروحية ...

(٢) الرجوع إلى الله ...

(٣) وسيصدر قريباً كتاب مخافة الله ...

تضاف هذه الكتب الثلاثة الصغيرة إلى الكتاب الكبير «**حياة التوبة والنقاوة**» لكي تكون موضوعاً واحداً لا يستغني عنه أحد .

●● تم طبع أكثر من نصف الكتاب .

●● ينتظر ظهوره بعد شهر إن شاء الله ...

فهرست

صفحة

الثمن ٢٥ قرشاً